ورحل رئيس تحرير مجلة التوحيد

التوحيد

التفاؤل والتشاؤم



وسطية الأمة بين الغلو والجفاء



مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية العدد ٥٠٨ - السنة الثالثة والأربعون - ربيع آخر ١٤٣٥ هـ
الثمن جنيهان

- من أسباب التمكين من هدي سيد المرسلين
- القلوب والفتن
- الكنز المفقود



Upload by: altawhedmag.com

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم

الكنز المفقود

لم يكن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قبل إسلامه خريج جامعات مدنية، ولا عسكرية، بل كان قصارى أمره أنه رجل أعرابي يسكن البادية، ويرعى الغنم، ويعبد تمثالاً من العجوة؛ إذا شبع عَبَدَه، وإذا جاع أكلَهُ، فما الذي جعله بعد ذلك كله يحكم العالم بأسره، لا يخاف فيه أحدًا، حتى قال ذات مرة: لقد أمسيتُ وليس بيني وبين الله أحدٌ أخافه؟!

والسر في هذا ما قاله هو أيضًا رضي الله عنه: «كنَّا أذل أمة، فأعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله».

فلمَّا كان هذا حاله في دينه وعقيدته، وسلوكه في نفسه ورعيته؛ أمن، وانتشر الأمان في البلاد والعباد. حتى جيء بأحدِ الملوك أسيرًا إلى عمر، فلم يجدوا عمر، فسألوا عنه، فقيل: هو في المسجد، فأتوه فإذا هو نائم وحده، فقال الملك الأسير: أين عمر؟ فقالوا: هو ذا نائم. فقال الملك: فأين حَرَسُهُ؟ قالوا: لا حارس له ولا حاجب. فنظر الملك إلى عمر وقال: عَدلْت فأمنت فنمت.

فلما استيقظ عمر ورأى الملك الأسير، قال: الحمد لله الذي أذل بالإسلام هذا وأشباهه، وسأله عمر: كيف رأيت عاقبة أمر الله فيك؟ فقال الملك الأسير: لمَّا كنا نحن وأنتم في الجاهلية غلبناكم فلمَّا كان اللهُ الآن معكم غلبتمونا.

فهل عرفتم السر يا قوم؟ إنه الإسلام الذي به يسعد الأنام، ويأمن النوَّام، ولا يرفضه إلا الأقزام، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا!!

التحرير

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً، السعودية ٦ ريالات، الامارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الاردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد ـ على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون

٢- في الخارج ٢٥ دولارا أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامى فرع القاهرة ـ باسم مجلة التوحيد ـ أنصار السنة «حساب رقم / ١٩١٥٩٠».

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي: q.tawheed@yahoo.com

التحرير

٨ شارع قولة عابدين ـ القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ ـ فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

مفاجأة كبرى

نقدم للقارئ كرتونة كاملة تحتوي على ٤٠ مجلداً من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٠ سنة كاملة

Upload by: altawhedmag.com

السنة الثالثة والأربعون / العدد: ٥٠٨ – ربيع آخر ١٤٣٥هـ

في هذا العدد

فاعلم أنه لا إله إلا الله

جماعة أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز

رئيس مجلس الإدارة
د. عبدالله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبدالعظيم بدوي

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

اللجنة العلمية
جمال عبدالرحمن
معاوية محمد هيكل
د. مرزوق محمد مرزوق

مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

سكرتير التحرير
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

٧٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٢٦٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع

Upload by: altawhedmag.com



افتتاحية العدد

وسطية الأمة بين الغلو والجفاء

بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي



www.sonna_banha.com

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن نهج نهجه واهتدى بهداه، وبعدُ:

فقد تحدثت في العدد السابق عن بعض المخالفات الشرعية في تجاوز الحد في المديح المتعلق بشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي مسألة عقدية عليها أدلة شرعية، وحتى لا يفهم أحد أن في هذا تنقيصًا من مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانته سأتحدث هنا عن الغلو والجفاء في شخص النبي المختار صلى الله عليه وسلم، وسأسوق- إن شاء الله- بعض الأدلة النبوية في ذلك.

وقبل هذا أقول: إن الاستهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم وعدم احترامه كفرٌ بالله العظيم، كما أخبر بذلك القرآن الكريم في قول الله تعالى: «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ» [سورة: ٦٦]، وقد ذكر ابن حزم- رحمه الله- في كتابه الفَصل: «أن كل ما فيه كفر بالباري تعالى، واستخفاف به، أو بنبي من أنبيائه، أو بملك من ملائكته، أو بآية من آياته عز وجل، لا يحل سماعه ولا النطق به، ولا يحل الجلوس حيث يُلفظ به، ثم ساق الآية». [الفِصَل في الملَل ٢/١٣٩].

وجوب التمييز بين حقوق الله تعالى وحقوق غيره:

يجب أن يميز المسلم بين حقوق الله تعالى الواجبة له والخاصة به، والتي لا يجوز صرفها لغيره، كإثبات أنه الرب الخالق الرازق المدبر، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأنه المعبود وحده بجميع ألوان العبادة دون سواه، وبين حقوق خلقه؛ كحق النبي صلى الله عليه وسلم الذي تجب محبته وطاعته وعدم الخروج على أمره صلى الله عليه وسلم، وقواعد الشريعة قد أحكمت هذا الباب، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن الغلو في شخصه، كما ورد عنه النهي عن الجفاء في حقه صلى الله عليه وسلم، ولتوضيح هذا الأمر، وحتى نضع الأمور في نصابها الصحيح، ويظهر الحق لكل منصف سأذكر من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ما سدَّ به ذرائع الغلو والجفاء في شخصه صلى الله عليه وسلم.

أولا: سدُّ النبي صلى الله عليه وسلم ذرائع الغلو في شخصه الكريم:

لقد سدَّ النبي صلى الله عليه وسلم جميع الوسائل والأسباب المفضية إلى الشرك بالله تعالى، واتخاذ ندٍّ لله، حتى ولو كانوا من أشرف خلق الله، ولذلك نصَّ النبي صلى الله عليه وسلم على أنه عبدٌ لله تعالى، وقد ذكر ذلك في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي نهى فيه عن إطرائه صلى الله عليه وسلم فقال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبد الله ورسوله» [البخاري: ٣٤٤٥]، وهو بهذا يوافق ما وصفه الله به في كتابه من أنه عبدٌ لربه ومولاه صلوات الله وسلامه. قال الله تعالى: «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ

Upload by: altawhedmag.com

عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا» [الكهف: ١]، وقال جل وعلا: «تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا» [الفرقان: ١]، والعبودية من النبي صلى الله عليه وسلم من أشرف مقامات رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: «هذه صفة مدح وثناء؛ لأنه أضافه إلى عبوديته، كما وصفه بها في أشرف أحواله، وهي ليلة الإسراء فقال: «سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا» [الإسراء: ١]، وكما وصفه بذلك في مقام الدعوة: «وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا» [الجن: ١٩]. (تفسير ابن كثير ٤٢٤/٣).

ومن صور سدِّ ذرائع الغلو في شخصه صلى الله عليه وسلم تحذيره من اتخاذ قبره عيدًا أو مسجدًا، كما روى مالك في الموطأ وابن أبي شيبة عن زيد بن أسلم مرسلاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». [والحديث أخرجه أحمد في المسند موصولا عن أبي هريرة ج٢٤٦/٢، وصححه الألباني في تحذير الساجد ص١٨].

وقد استجاب الله دعاء نبيه عليه الصلاة والسلام، كما قال ابن القيم في القصيدة النونية:

فأجاب رب العالمين دعاءه
وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى غدت أرجاؤه بدعائه
في عزة وحماية وصيان

قال الشيخ خليل هراس رحمه الله: «فأجاب الله عز وجل دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم فأحاط قبره بثلاثة جدران حتى لا يكون بارزًا في المسجد، فأصبحت أنحاء القبر ببركة دعائه في منعة وصيانة أن يُرتكب عندها شيء من أعمال الوثنية». [شرح النونية ٢٢٩/٢، ٢٣١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليَّ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم». [صحيح سنن أبي داود ٣٨٣/١].

قال ابن القيم رحمه الله في شرحه لسنن أبي داود: «العيد ما يُعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان»، وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية، فلما جاء الله بالإسلام أبطلها، وعوَّض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد الأضحى، كما عوَّضهم عن أعياد المشركين المكانية بالكعبة ومنى ومزدلفة وسائر المشاعر. [عون المعبود ٣٢/٦].

وقال المناوي: «معناه النهي عن الاجتماع لزيارته اجتماعهم للعيد، إما لدفع المشقة، أو كراهية أن يتجاوزوا حدَّ التعظيم، وقيل: العيد ما يُعاد إليه، أي: لا تجعلوا قبري عيدًا تعودون إليه متى أردتم أن تصلوا عليَّ».

ويؤخذ منه أن اجتماع العامة في بعض أضرحة الأولياء

يجب أن يميز المسلم بين حقوق الله تعالى الواجبة له والخاصة به، والتي لا يجوز صرفها لغيره، وبين حقوق خلقه؛ كحق النبي صلى الله عليه وسلم الذي تجب محبته وطاعته وعدم الخروج على أمره صلى الله عليه وسلم، وقواعد الشريعة قد أحكمت هذا الباب.

Upload by: altawhedmag.com

في يوم، أو شهر مخصوص من السنة ويقولون هذا مولد الشيخ ويأكلون ويشربون وربما يرقصون فيه منهي عنه شرعًا، وعلى وليّ الشرع ردعهم على ذلك، وإنكاره عليهم وإبطاله». [المرجع السابق ٦/٣٢، ٣٣].

إنكار النبي صلى الله عليه وسلم على من غلا فيه:

ومن صور سدَّ النبي صلى الله عليه وسلم ذرائع الغلو في شخصه إنكاره على الجارية التي كانت تغني يوم عرس وذكر كلمات لم يرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسكت عليها، كما في حديث الرُّبيع بنت معوذ قالت: «دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة بُني عليَّ، فجلس على فراش كمجلسك مني، وجويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر، حتى قالت جارية: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تقولي هكذا، وقولي ما كنت تقولين» [صحيح البخاري ٤٠٠١].

ويلاحظ هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم بادر بالإنكار؛ لأن ما قيل غلو يأباه الشرع ويخالف المعتقد الحق؛ لأن علم الغيب لله وحده، وهذا ما قرره رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم أحد ما يكون في غد، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدًا، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وما يدري أحد متى يجيء المطر». [البخاري: ١٠٣٩].

وعن مسروق قال: «قلت لعائشة رضي الله عنها: يا أمتاه، هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه؟ فقالت: لقد قَفَّ شعري مما قلت: أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب؛ من حدثك أن محمدًا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: « لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ » [الأنعام: ١٠٣]، ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت: «وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا » [لقمان: ٣٤]، ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ثم قرأت: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ » [المائدة: ٦٧]، ولكن رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين. [البخاري: ٤٨٥٥].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد وكثير التحذير من هذا الغلو، وكان يبادر إلى دفعه ورده، كما في حديث عبد الله بن أبي أوفى قال: قدم معاذ اليمن أو قال الشام فرأى النصارى تسجد لبطارقتها وأساقفتها، فرأى في نفسه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن يُعظَّم، فلما قدم، قال: يا رسول الله، رأيت النصارى تسجد لبطارقتها وأساقفتها، فرأيت في نفسي أنك أحق أن تُعظَّم، فقال: «لو كنت آمرًا أحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» [سنن ابن ماجه ١٨٥٣ وصححه الألباني].

وفي رواية أن معاذ بن جبل رضي الله عنه أتى الشام

كما حرص صلى الله عليه وسلم على عدم الغلو فيه، وسد كل الأبواب المفضية إلى ذلك، حذر أمته من الوقوع في الجفاء في حقه صلى الله عليه وسلم؛ لأن كلا الأمرين خروج عن الصراط المستقيم، ومن مظاهر الجفاء في حقه عليه الصلاة والسلام: تقديم محبة غيره عليه، أو التقصير في هذه المحبة.

Upload by: altawhedmag.com

فرأى النصارى، فذكر معناه، إلا أنه قال: فقلت لأي شيء تصنعون هذا؟ قالوا: هذا كان تحية الأنبياء قبلنا، فقلت: نحن أحق أن نصنع هذا بنبينا، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: إنهم كذبوا على أنبيائهم كما حرّفوا كتابهم، إن الله عز وجل أبدلنا خيرًا من ذلك السلام تحية أهل الجنة». [مسند أحمد ٣٨١/٤].

ثانيا: سدّ النبي صلى الله عليه وسلم ذرائع الجفاء في حقه عليه الصلاة والسلام:

فكما حرص صلى الله عليه وسلم على عدم الغلو فيه، وسد كل الأبواب المفضية إلى ذلك، حذّر أمته من الوقوع في الجفاء في حقه صلى الله عليه وسلم؛ لأن كلا الأمرين خروج عن الصراط المستقيم، ومن مظاهر الجفاء في حقه عليه الصلاة والسلام: تقديم محبة غيره عليه، أو التقصير في هذه المحبة، ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين». [صحيح البخاري: ١٥].

قال ابن حجر: «إذا تأمل العبد النفع الحاصل له من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أخرجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، إما بالمباشرة وإما بالسبب علم أنه سبب بقاء نفسه البقاء الأبدي في النعيم السرمدي، وعلم أن نفعه بذلك أعظم من جميع وجوه الانتفاعات، فاستحق لذلك أن يكون حظه من محبته أوفر من غيره، لأن النفع الذي يثير المحبة حاصل منه أكثر من غيره، ولكن الناس يتفاوتون في ذلك بحسب استحضار ذلك والغفلة عنه، ولا شك أن حظ الصحابة رضي الله عنهم من هذا المعنى أتمّ؛ لأن هذا ثمرة المعرفة، وهم بها أعلم، والله الموفق». [فتح الباري: ٥٩/١، ٦٠].

وحقا كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في محبته أعلى وأكثر من غيرهم، كما في حديث عبد الله بن هشام قال: «كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك». فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إليَّ من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الآن يا عمر». [البخاري: ٦٦٣٢].

قال الخطابي في معنى الحديث: «حب الإنسان نفسه طبع، وحب غيره اختيار بتوسط الأسباب، وإنما أراد عليه الصلاة والسلام حب الاختيار؛ إذ لا سبيل إلى قلب الطباع وتغييرها عما جُبلت عليه». قال ابن حجر معلقًا على هذا الكلام: «فعلى هذا فجواب عمر أولاً كان بحب الطباع، ثم تأمل فعرف بالاستدلال أن النبي صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه؛ لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والأخرى، فأخبر بما اقتضاه الاختيار، ولذلك حصل الجواب

> إن مقام النبي صلى الله عليه وسلم عظيم وشريف، فهو النبي المجتبى والرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويجب على الأمة أن تعرف قدره وفضله وشرف منزلته، وهو لا يرضى بالغلو فيه، ولا نرضى بأي جفاء يلحقه صلى الله عليه وسلم، ودين الله وسط بين الجافي والغالي.

Upload by: altawhedmag.com

بقوله: الآن يا عمر». [فتح الباري ٥٢٨/١١].

وعليه أقول: يجب تقديم محبة النبي صلى الله عليه وسلم على النفس والمال والأهل والولد وغير ذلك من متاع الدنيا، حتى يشعر العبد بحلاوة الإيمان كما في حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار». [البخاري: ١٦].

ومن أحب النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يكون معه في الآخرة، ويا لها من منزلة عالية، وقد روى مسلم عن أنس أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: متى الساعة؟ قال: «وما أعددت لها؟ قال: حب الله ورسوله. قال: فإنك مع من أحببت. قال أنس رضي الله عنه: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما فأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم». [صحيح مسلم: ٢٦٣٩].

قال النووي رحمه الله: «فيه فضل حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والصالحين وأهل الخير الأحياء والأموات، ومن فضل محبة الله ورسوله امتثال أمرهما، واجتناب نهيهما، والتأدب بالآداب الشرعية، ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم؛ إذ لو عمله لكان منهم ومثلهم». [شرح النووي ١٨٦/١٦].

وقد توعد الله عز وجل من أحب شيئًا أكثر من محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فقال: « قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ » [التوبة: ٢٤]. قال القرطبي رحمه الله: «وفي الآية دليل على وجوب حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا خلاف في ذلك بين الأمة، وأن ذلك مقدم على كل محبوب». [انظر تفسيره ٢٩٣٤/٤].

قلت: هذه الآية فيها تهديد عظيم لمن خالفها، ومن خالف فعليه أن ينتظر عقاب الله الشديد ونكاله الأليم، ومن مظاهر الجفاء التي نهى عنها الشرع مع النبي صلى الله عليه وسلم: عدم المبالاة بالصلاة والسلام عليه، وقد أمر الله في كتابه بالصلاة والسلام عليه وذلك تعظيمًا لشأنه ورفعة لمكانته وقدره صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: « إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا » [الأحزاب: ٥٦]. قال ابن كثير: «المقصود من هذه الآية: أن الله أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين: العلوي والسفلي جميعًا». [تفسير ابن كثير: ٦٨٤/٣].

قال أبو العالية: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء، قال ابن عباس: يصلون يُبركُون، قال ابن حجر: أي يدعون له بالبركة. [فتح الباري: ٥٣٢/٨، ٥٣٣].

وقد علَّم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه كيفية الصلاة عليه، وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة منها حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية؟ إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ قال: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد». [صحيح البخاري: ٦٣٥٧].

وهذه هي أفضل وأشرف كيفيات الصلاة عليه، كما ذكر ابن حجر ذلك في الفتح ١١٦/١١.

ومعنى التسليم عليه- عليه الصلاة والسلام-: السالم من النقائص، المليء بالخيرات والبركات، وتتأكد الصلاة عليه عند ذكر اسمه عليه الصلاة والسلام لحديث الترمذي: (البخيل من ذُكرت عنده فلم يصل عليَّ) [سنن الترمذي ٣٥٤٥ وصححه الألباني]. ولحديث أبي هريرة في الترمذي: «من ذكرت عنده فلم يصل عليَّ فمات فدخل النار فأبعده الله» [صحيح ابن حبان (١٨٨/٣، رقم ٩٠٧)].

وفي الختام أقول:

إن مقام النبي صلى الله عليه وسلم عظيم وشريف، فهو النبي المجتبى والرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويجب على الأمة أن تعرف قدره وفضله وشرف منزلته، وهو لا يرضى بالغلو فيه، ولا نرضى بأي جفاء يلحقه صلى الله عليه وسلم، ودين الله وسط بين الجافي والغالي.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

Upload by: altawhedmag.com

ورحل رئيس تحرير مجلة التوحيد

بقلم/ جمال سعد حاتم رئيس التحرير

الحمد لله القادر القدير، من له الحكم والقضاء، وله الأمر والتدبير، وله ملكوت كل شيء وهو بعباده خبير بصير، وبعدُ:

يعز على نفسي أن أكتب تلك الكلمات عن شيخ وقور، وعالم فذّ، له صولات وجولات في الحق؛ دفاعًا عن عقيدة الإسلام، ومنهج أهل السنة والجماعة الذي ارتضاه لنفسه وعاش يدافع عنه بكل ما أوتي من قوة.

عاش الشيخ داعياً إلى الله تعالى ، والدعوة إلى الله خير شغل يقضي العبد فيه عمره، ويمتد من بعده ثوابه بعد انقضاء أجله، وقد صار الشيخ الراحل أثرًا بعد عين، الشيخ الوقور الجليل الشيخ أحمد فهمي، الذي كان نائباً لرئيس جماعة أنصار السنة أيام الشيخ محمد علي عبد الرحيم، ورئيس تحرير مجلة التوحيد، حتى عام ١٩٩٢م، فأصبح الشيخ ذكرى بعد واقع، فبعد أن كان يَكتب للناس، إذ به يُكتب عنه، وبعد أن كتب للقراء، يَنعي لهم العلماء الأفذاذ، والقادة الأجلاء من أعلام الدعوة المعاصرين، فإذا به يُصبح المكتوب عنه والمعرَّف به، والمنوَّه عنه.

إن الخطب جلل والمصاب عظيم، ولكن لنا أسوة حسنة في سلفنا الصالح من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، صبروا على مصيبة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم على موت الخلفاء من بعده.

والمصائب يذكِّر بعضها ببعض، فنتذكر مع وفاة الشيخ أحمد فهمي نتذكر من مات من رؤساء تحرير مجلة التوحيد والهدي النبوي، بداية من الشيخ أحمد شاكر حامل لواء السّنَّة، والمدافع عنها في وقت عظمت فيه الفِرقة وانتشرت البدع ، ومن قبله الشيخ محمد صادق عرنوس، الذي كان شاعرًا وأديبًا وكاتبًا، فضلاً عن رؤساء التحرير الذين تولوا تلك المسئولية من قبل، كالشيخ محمد حامد الفقي، والشيخ عبد الرحمن الوكيل، والشيخ محمد عبد المجيد الشافعي، والشيخ صفوت الشوادفي فارس الدعوة في عصره ، ثم رحيل آخرهم وهو الشيخ أحمد فهمي، رحمه الله تعالى.

فالمصاب جلل، وإن القلب ليحزن لفراق هذا العالم الفذ المؤدب، قليل الكلام، ولكننا لا نقول إلاَّ ما يرضي ربنا، وإنا لفراق شيخنا الحبيب لمحزونون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

لقد كانت تربطني بالشيخ المحبة والاحترام والإجلال لشخصه الوقور، وقد سألت نفسي: ماذا أستطيع أن أقدم للشيخ بعد رحيله؛ تقديرًا له واحترامًا لتاريخه؟!

فلم أجد سوى أن تكون كلمة تحرير هذا الشهر -والتي تأتي والقلب مُفعم من كثرة الآلام لما يحدث في مصر الغالية- باسم رئيس التحرير الشيخ أحمد فهمي رحمه الله، تكريمًا للشيخ رحمه الله بعد رحيله ، فتكون كلمة التحرير باسم الشيخ بعنوان: «فرحة ما تمت»، وهي آخر ما كتبه الشيخ رحمه الله أيام رئاسته لتحرير المجلة ، وآثرت أن لا أكتب كلمة التحرير هذا الشهر.

أسأل الله العلي القدير أن يلهمنا الصبر والسلوان، وأن يحشر شيخنا مع النبيين والصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقًا، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

كلمة التحرير

فرحة ما تمت

كتبه: الشيخ
أحمد فهمي
رحمه الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فإن كثيرًا من عوام المسلمين الذين لا يعلمون من الإسلام إلا ما توارثوه عن آبائهم تصيبهم الدهشة حينما نعرض عليهم أمرًا أو حكمًا من أحكام الإسلام التي عمت البلوى بمخالفتها وسكت على هذه المخالفات كثيرٌ من علماء المسلمين؛ إما مجاملة للناس أو رضًا بما هم عليه، هؤلاء العوام من المسلمين إذا عُرض عليهم الحكم من أمثالنا قد لا يصدقونه، أما إذا قاله واحد من المشاهير فسرعان ما يؤمنون به.

ولي في ذلك بعض التجارب، أذكر أن واحدًا سألني ذات مرة عن كلام مكتوب عند ضريح الحسين بالقاهرة منسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر فيه الحسين بأن الشفاء من الأمراض يكون في تربته، وأن الدعاء المقبول يكون تحت قبته. وسألني الرجل عن ذلك الكلام وهل هو حديث صحيح لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأجبته بأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يدعو الناس إلى أمور شركية مثل تلك المعاني التي جاءت في هذا الحديث المكتوب عند ضريح الحسين رضي الله عنه. وإذا بالرجل يقول لي: هكذا أنتم يا أنصار السنة، الحديث الذي يعجبكم تقولون إنه حديث صحيح، والذي لا يعجبكم ولا يوافق دعوتكم تنكرونه. ثم انصرف.

وبعد عام كامل جاءني نفس الرجل وقال لي: هل تذكر أنني سألتك منذ عام عن كذا وكذا فأجبتني بكذا؟ قلت: نعم أذكر. فقال: اليوم فقط صدقتك وعلمت أن إجابتك كانت صحيحة. وفتح الرجل صفحة في جريدة يومية معه كان فيها نفس السؤال من أحد القراء عن الكلام المنسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ضريح الحسين، وكانت الجريدة قد عرضت هذا السؤال على وكيل كلية أصول الدين ورئيس قسم الحديث بها في ذلك الوقت الدكتور موسى شاهين لاشين، وجاءت إجابته تتضمن أن ذلك كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفاض الدكتور موسى شاهين في رده وحمل على الذين يعلقون هذه اللافتات لتضليل المسلمين.. إلى آخر ما قاله في هذا الشأن.

المهم أن السائل الذي سألني قبل ذلك بعام صدق

Upload by: altawhedmag.com

كلامي وآمن به بعد عام كامل لما قرأ ما قلته له، ولكن على لسان واحد من كبار العلماء.
ذلك الأمر يجعلنا نفرح كثيرًا حينما نرى واحدًا من مشاهير العلماء يقول كلمة حق في أمر عمت به البلوى، لذلك نسارع بنشر ما قاله ذلك العالم لعل ذلك يساعدنا في نشر الدعوة الصحيحة عند من لا يعرفون الحق إلا بالرجال، رغم أن الأصل أن يُعرف الرجل بالحق.
لذلك سعدت كثيرًا عندما قرأت كلامًا لمفتي مصر الدكتور محمد سيد طنطاوي بجريدة الأهرام المسائي يوم ١٩٩١/١١/٥م تحت عنوان: «الرسول نهى عن اتخاذ القبور مساجد، ويجب عزل الأضرحة عن أماكن الصلاة». قال فيه المفتي كلامًا صحيحًا من الذي سكت عنه بل أنكره كثير من العلماء الرسميين وغير الرسميين، فقد أوضح فضيلته في كلمته أن «النبي صلى الله عليه وسلم شدد في النهي عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، وذلك يصدق بالصلاة إليها وبالصلاة فيها، وأشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن ذلك كان سببًا في انحراف الأمم السابقة وبُعدها عن إخلاص العبادة لله، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجدًا؛ خوفًا من المبالغة في تعظيمه والافتتان به، وربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم المخالفة.. ». هذا نص ما قاله المفتي.
كما أورد في كلمته حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، فيعلم مما ذكر وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم حذر من بناء المساجد على القبور ومن الصلاة إليها، وشدد في النهي أثناء حياته وبعد موته؛ وذلك لأن هذا الأمر يتعلق بأصل العقيدة التي هي أصل الدين.
وقد نقل المفتي في كلمته بعض ما قاله ابن تيمية مثل قوله: «إن اتخاذ قبر في المسجد يؤدي إلى الصلاة إليه أو عنده، وقد دلت الأحاديث على حظر ذلك والمنع منه»[اقتضاء الصراط المستقيم ص٢٢].
وفي نهاية هذه الفتوى قال المفتي بجواز نبش القبر الموجود في المسجد إن كان جديدًا ودفن من فيه في مقابر المسلمين أو خارج المسجد، بشرط ألا تُنتهك حرمته، وإن كان القبر داخل المسجد قديمًا، أزيلت صورته وسوِّي بأرض المسجد دون نبش.
فرحت كثيرًا بهذه الفتوى التي نُشرت للمفتي في شهر نوفمبر ١٩٩١م بجريدة الأهرام المسائي وقمت بإعادة نشرها في مجلة التوحيد عدد شهر رجب ١٤١٢هـ تحت عنوان: «كلمة حق قالها المفتي».
ولكن كما يقولون: فرحة ما تمت، فقد جاءني أحد قراء التوحيد بمجلة شهرية اسمها «الشباب» العدد (١٧٣) الصادر في شهر ديسمبر ١٩٩١م أي: بعد أيام قليلة من نشر الفتوى السابقة للمفتي بجريدة الأهرام المسائي، وتحت عنوان يقول: «اسألوا مفتي الديار»، وردت عدة أسئلة أجاب عنها المفتي منها سؤال يقول: «هل صحيح أن الصلاة حرام في المساجد التي بها قبور أي أضرحة للأولياء الصالحين مثل مسجد سيدنا الحسين مثلًا أو السيدة زينب وغيرهما؟».
وكانت إجابة المفتي هذه المرة مختصرة، حيث لم تزد عن هذه الكلمات: «الصلاة متى توافرت شروط صحتها كانت صحيحة، والصلاة في المساجد التي بها أضرحة صلاة صحيحة شرعًا، والصلاة إنما هي لله، وليست لصاحب الضريح».
وبالطبع لن أدخل في حوار مع المفتي حول هذه الفتوى الأخيرة، ولا عن شروط صحة الصلاة، وإذا كانت الصلاة لله وليست لصاحب الضريح، فهل ذلك يجيز أن تؤدى الصلاة في أي مكان؟ وهل تُقبل الصلاة إذا أقيمت في الأماكن التي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فيها كالمقبرة والحمام ومبارك الإبل وفوق سطح الكعبة.. إلخ؟ لن أدخل في حوار مع المفتي حول ذلك كله ولا حول صور الشرك والوثنية المنتشرة عند الأضرحة، ومسئوليته وسائر العلماء في تغيير ذلك المنكر وفي إبلاغ الحكم الصحيح للناس، لن أجادل المفتي في ذلك كله، ولكني أقول له: ليت فضيلتكم تعيد قراءة فتواك التي نشرت بالأهرام المسائي وتقارن بين ما جاء بها وبين ما جاء بفتواك المنشورة في مجلة الشباب، ويكفي أن المفتي يرد على نفسه.. وفرحة ما تمت.
وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

Upload by: altawhedmag.com

ورحل إمام جهـ

الحمد لله الحي القيوم، والصلاة والسلام على المبعوث بالهدى والنور، وعلى آله وصحبه وسلم.

ففي صباح الجمعة ٩/ ٣/ ١٤٣٥هـ اتصل بي أخي الشيخ أبو العطا عبد القادر، وأعلمني بخبر أزعجني وهز مشاعري، ألا وهو وفاة شيخنا الفقيه العالم الرباني/ أحمد فهمي أحمد رحمه الله تعالى، هذا العَلَم الذي تميز بمنهجه المعتدل الذي نشأ وتربى عليه بين إخوانه أهل السنة والجماعة، وقد قضى عمره في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة مع البصيرة العالية في الدين.

كان رحمه الله يجوب ويتنقل بين فروع أنصار السنة ومساجدها، خطيبًا ومحاضرًا وناصحًا وموجهًا.

وكان- رحمه الله- يعاني الكثير في ذلك، فقد رأيته مرارًا يذهب إلى أماكن بعيدة عن القاهرة، ويتعذر رجوعه في نفس الليلة فيبيت في غرفة في المسجد، ويصلي الفجر مع إخوانه ويلقي كلمة، ثم يرحل في نهار اليوم التالي عائدًا إلى منزله، وكان لا يكل ولا يمل من هذا العمل، ويحرص على الذهاب والسفر إلى مختلف محافظات مصر، حتى مع مرضه رحمه الله تعالى.

وقد أخبرني أخونا الشيخ/ عبد العزيز عاشور أنه كان يحافظ على درس الأربعاء في مسجد التوحيد بالمركز العام أسبوعيًا، وكان إذا اشتد عليه المرض تعاطى جرعة كبيرة من الدواء ليتمكن من إلقاء درسه في شرح صحيح مسلم، مع التوجه إلى الله تعالى بطلب العون والتوفيق.

وكان يركز في دعوته على نقاء العقيدة وصفاء التوحيد، ونشر السنة وقمع البدعة، وقد عمل إلى جوار شيخنا الراحل- محمد علي عبد الرحيم- رحمه الله تعالى، وكان نائبًا له وقام بعمله خير قيام، وترأس فترة من الزمن رئاسة تحرير مجلة التوحيد، ونهض بها خلال هذه الفترة وحقق نجاحًا ملحوظًا، وكان خلال ترأسه للتحرير يكتب افتتاحية العدد في كلمة التحرير، وكانت كتاباته تتسم بالمنهجية في العرض والطرح مع رؤية ثاقبة وتحليل نافع لما يحتاج إليه المجتمع، وكان كثيرًا ما يوجه كلامه إلى الشباب والمسئولين،

Upload by: altawhedmag.com

ـبذ من أئمة السنة

ويواجه الطرقية ودعاة الحزبية وأهل الغلو والتفريط بما يتناسب مع كل فئة.

والشيخ- رحمه الله- مدرسة تربوية، فقد تعلم منه طلابه الكثير في ذلك، وكانت توجيهاته برفق وحلم ، وأذكر وأنا أدرس على يديه أن حدَّثه بعض طلابه ووقع في بعض الخطأ، فصححه الشيخ له بعبارات لطيفة جدًا، فأثنى الشاب عليه وقبل منه، ولا يزال هذا الشاب من خلال هذا الموقف يدعو له، وقد رأيته وهو يدرس في الحرم المكي الشريف أثناء موسم الحج، وفي مخيمات الحجيج في منى وعرفات، وكان الناس يجتمعون عليه ويستفيدون منه، ويفتيهم فيما يسألون عنه، ولمكانته العلمية كان إخوانه من العلماء، وأهل الخير والفضل يعرفون قدره ومنزلته.

وقد شاهدت بنفسي بعضًا من كبار العلماء في الداخل والخارج يُجِلّون الشيخ ويحترمونه ويقدرونه، وكانت له وجاهة خاصة في المجتمع، ويظهر ذلك في تقدير كثير من المسئولين له، ومخاطبته بأحسن ما يكون الخطاب.

ولذلك أقول: إن المصاب فيه عظيم، والخطب جلل، وعزاؤنا أن الله تعالى كتب الموت على مخلوق، وقد مات حبيب رب العالمين صلوات الله وسلامه عليه، إلى جانب وفاته

إعداد/ الرئيس العام

ليلة الجمعة، وإني- والله- لأرجو أن يشمله هذا الحديث، وهو من علامات حُسن الخاتمة، وفيه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة، إلا وقاه الله فتنة القبر» [سنن الترمذي ١٠٧٤ وحسنه الألباني].

وقد وفقني الله تعالى فحضرت الصلاة عليه في مسجد أنصار السنة بعابدين، وقد حضر الصلاة عليه جمع غفير من إخوانه ومحبيه وذلك بعد صلاة الجمعة، وإني أوجه نداء إلى كل إخوانه ومحبيه بالدعاء له، وأهله المباركين- إن شاء الله- أولى الناس بذلك امتثالاً لقول نبينا- عليه الصلاة والسلام-: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له» [صحيح مسلم ٦٤٥٧].

اللهم اغفر لعبدك أحمد فهمي، وارفع درجته في المهديين، واجعله مع الأنبياء والمكرمين، اللهم اجعل قبره روضة من رياض الجنة، واجمعنا به مع نبينا صلى الله عليه وسلم في أعلى مقام في الجنة، وأجرنا في مصيبتنا واخلفنا خيرًا منها.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

Upload by: altawhedmag.com

الشيخ أحمد فهمي رحمه الله

نائب الرئيس العام الأسبق
١٩٣٠-٢٠١٤م

إعداد/ فتحي أمين عثمان
مدير إدارة التراث

اسمه: أحمد فهمي أحمد.

مولده: ولد رحمه الله في بلدة طهطا من أعمال محافظة سوهاج، وذلك في سبتمبر ١٩٣٠م.

بناء صرح الجماعة ومجلة التوحيد:

في فترة بناء الجماعة شغل منصب نائب الرئيس العام للجماعة لمدة ١٧ عامًا، فمن زمن رئاسة الشيخ محمد علي عبد الرحيم، رحمه الله، وكانت فترة بناء الجماعة وصروحها في مختلف أنحاء الجمهورية، فأسهم الشيخ رحمه الله بجهود دعوية وإدارية كبيرة وكثيرة.

تولى رئاسة مجلة التوحيد بعد الأستاذ الشيخ عنتر حشاد رحمه الله بداية من عدد صفر وذلك في عام ١٣٩٧هـ.

فبدأ عمله في المجلة بقوله: «إننا نقدم لك مجلة التوحيد محاولين بتوفيق الله أن نضمنها من المادة العلمية ما يرفع مستوى فهم المسلم لدينه، وربط دنياه بهذا الدين الحنيف، والكشف عن مواقع الانحراف والفساد سواء في العقيدة أو السلوك».

قلت: وقد سمعته مرة يتحدث في المسجد، فسأله أحد الحضور قائلاً: لماذا تكثرون من الكلام عن القبور والقبوريين؟

فقال رحمه الله: سأظل أتكلم عن عبادة القبور والقبوريين ما دام هناك رجل واحد يدعو ويتوسل بالموتى والمقبورين.

ترك رياسة تحرير المجلة عام ١٤١٢هـ في رمضان بالسنة العشرين من صدور المجلة، قام فيها بجهد كبير ومشكور، وبذلك يكون قد رأس مجلة التوحيد مدة ١٦ عامًا قضاها في البذل والعطاء والنشاط المنقطع النظير.

ومن حبه للمجلة وحُسن خلقه في ذكر من تولاها بعده، وهو الشيخ صفوت الشوادفي رحمه الله، أنه سأل الشيخ أحمد فهمي رحمه الله فقال له: ما تقول يا شيخ في المجلة الآن؟ فقال: إن المجلة صارت شابة فتية وتحتاج إلى جهود الشباب.

حياة دعوية لا تتوقف:

ورغم تركه للمجلة ولمجلس الإدارة، إلا أنه لم يعتزل العمل بالدعوة، بل زاد نشاطه فظل يُدرس صحيح مسلم يوم الأربعاء من كل أسبوع بالمركز العام، بلا انقطاع، لمدة تزيد عن عشرين سنة، ولم يتأخر إلا لسفر للحج أو لأداء العمرة، أو لمرض شديد.

وكان رحمه الله كثير الطواف والترحال والتنقل عبر فروع الجماعة في مختلف أنحاء مصر، فيخطب ويحاضر ويشارك في الأسابيع الثقافية والعلمية والتوعية الإسلامية.

وقد كانت للشيخ محاضرة شهيرة بعنوان: «الولاء والبراء» تحفظ عليها البعض، ولكن عندما علموا بمنهج الشيخ ورأيه الصواب في المسألة، طلبوا تسجيلها، بل وطلبوا من الشيخ أن يُلقيها في فروع كثيرة.

مواقف رشيدة في حياة الشيخ:

وقد رأينا للشيخ موقفًا عاقلاً رشيدًا حكيمًا في ما كان زمن فتنة التكفير من بعض الفرق، وقد حكى لي كثير من الشباب أنهم كانوا يعتقدون اعتقادات وأفكارًا زائفة باطلة ضالة

Upload by: altawhedmag.com

بعيدة عن الجادة والصواب، وأن الله تعالى هداهم على يد الشيخ أحمد فهمي رحمه الله.
ولقد كان الشيخ يكتب كلمة رئيس التحرير في كل شهر من مجلة التوحيد، ويعرض فيها لموضوعات شتى، منها ما يتعلق بالشأن العام، ومنها ما يتصل بالاعتقاد، ومنها ما يتصل بشعائر بعض القبوريين ومراسم موالدهم.
وكان يعرض للشأن العام بأسلوب سهل يسير بلا عصبية ولا جمود، ويعرض لجميع الآراء، ثم يرجّح ما قام عليه الدليل من الكتاب وصحيح السنة، وكان رحمه الله منصفًا في الحق لا يتعصب لرأي أيًا كان صاحبه.
كما ساهم الشيخ في التعريف بعقائد الصوفية والطرقيين، وبيّن باطل اعتقادهم، وزيف مشاربهم ووضح وبين أن الصوفية لا يزيدون عن كونهم عُبّاد تصوف، وخلفاء باطل، وأحلاس إلحاد.
كما كان للشيخ أحمد موقف طيب من الشيخ أبي الوفاء درويش رحمه الله، فقد جاء سؤال عن تفسير قول الله تبارك وتعالى على لسان السامري: «بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي» [طه : ٩٦]، وإنصافًا منه للحق وإيثارًا للعدل: فقد نشر مقالاً للشيخ أبي الوفاء درويش رحمه الله في الموضوع وأخذ برأيه، وقال: إنه غير مسبوق، وهذا بالرغم من الخلاف الفقهي بينهما.

خطيب بليغ:

كان رحمه الله يخطب بلغة جميلة وعربية سليمة، قل من يتحدث بها، فقد كان له عبارات وتراكيب جميلة بديعة، وهناك العديد من الخطب والمحاضرات التي تشهد بذلك.
وللشيخ خطب جميلة رائعة مثل خطبة: «لا محسوبية في الإسلام»، و«فرعون والماء»، و«ومن لم يحكم بما أنزل الله»، و«أركان الجاهلية الأربع»، هذا علاوة على خطبه الجميلة في السيرة النبوية وتفسيره البديع لآيات القرآن الكريم، خاصة ما يتعلق بأحكام الأسرة وغيرها كثير.
ومن جهوده الطيبة أنه في زمن رياسة الشيخ محمد علي عبد الرحيم كان هو نائبه ولثقة الرئيس به كان ينيبه في أن يرأس مجلس الإدارة شهرًا والشيخ محمد علي عبد الرحيم شهرًا، فكان يعد رئيس الجماعة في فترة مرض الشيخ محمد علي عبد الرحيم، رحمه الله.
وكان مع الشيخ أحمد فهمي رجال مخلصون ينبغي أن نذكرهم باعتبارهم ممن ساهموا في مسيرة الجماعة بأموالهم وأنفسهم وهم:
١- الشيخ بخاري عبده.
٢- الشيخ صفوت نور الدين.
٣- الشيخ إبراهيم عزب.
٤- الشيخ عطية حنفي.
٥- الشيخ سعد ندا.
٦- الشيخ حسن الجنيدي.
٧- الشيخ سيد متولي.
٨- الشيخ إبراهيم شعبان.
٩- الشيخ عبد الباقي الحسيني.
١٠- الشيخ عبد العزيز عاشور.
وكاتب هذه السطور، وقد رحل منهم الكثير، وبقيت أعمالهم، والله ندعو أن يجمعنا في الفردوس الأعلى.

إنتاجه العلمي:

للشيخ رحمه الله مقالات عديدة تناول فيها كل مناحي الحياة الإسلامية وشئون المجتمع والأسرة وقامت إدارة التراث بجميع مقالاته وتبويبها في مجلد كبير، هذا بخلاف الدروس والخطب الصوتية.

وفاته:

توفي يرحمه الله ليلة الجمعة في التاسع من ربيع الأول ١٤٣٥هـ، الموافق ٢٠١٤/١/١٠م، وصلى عليه جمع غفير من أهل التوحيد والسنة بدار المركز العام بعد صلاة الجمعة.
والله من وراء القصد ومنه الهداية والتوفيق.

Upload by: altawhedmag.com

باب التفسير

تفسير سورة فصلت

الحلقة الثالثة

قال تعالى « وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ (٢٤) ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (٢٥) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧) ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ» [فصلت: ١٩- ٢٨].

كتبه/ د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

الجوارح شهود فاحذروهم:

لما ذكر الله تعالى عذاب الخزي الذي أحله بعاد وثمود في الحياة الدنيا، ثم قال: «وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لاَ يُنْصَرُونَ»، ذكر سبحانه في هذه الآيات ما لهم من العذاب المهين في الآخرة، فقال تعالى: «وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ الله إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ»:

واذكر يا نبينا لقومك، وذكرهم «يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّه إِلَى النَّارِ» وهذه أكبر وصمة خزي وعار، يصمهم الله بها، وهي كونهم أعداء الله، «فَهُمْ يُوزَعُونَ»: أي: يُجمع آخرهم على أولهم، حتى يسيروا في صف منتظم، لا يتقدم أحد على أحد ولا يتأخر.

«حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا» ورأوا العذاب حاولوا التنصل مما كانوا عليه من الكفر والشرك، لعلهم ينجون، كما قال تعالى: « وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢) ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ » [الأنعام: ٢٣]، وقال تعالى: « يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ » [المجادلة: ١٨]، فإذا أنكروا وكذبوا ختم الله على أفواههم، فشهدت عليهم جوارحهم بما كانوا يعملون، كما قال تعالى: « الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » [يس: ٦٥]، وقال هنا: «حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» وهم يسمعون، حتى إذا فرغت الجوارح من الإدلاء بشهادتها أنطق

Upload by: altawhedmag.com

الله ألسنتهم، فأقبلوا على جوارحهم باللوم والعتاب على شهادتها عليهم: «وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ».

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وسلم فَضَحِكَ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ». قَالَ: قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ قَالَ: يَقُولُ بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ فَإِنِّي لاَ أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلاَّ شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ انْطِقِي. قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلاَمِ قَالَ: فَيَقُولُ بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا. فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ» [صحيح مسلم ٢٩٦٩].

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا رَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مُهَاجِرَةُ الْبَحْرِ قَالَ: «أَلاَ تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ». قَالَ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِ رَهَابِينِهِمْ تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ فَمَرَّتْ بِفَتًى مِنْهُمْ فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا ثُمَّ دَفَعَهَا فَخَرَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا فَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا فَلَمَّا ارْتَفَعَتِ الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غُدَرُ إِذَا وَضَعَ اللَّهُ الْكُرْسِيَّ وَجَمَعَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَتَكَلَّمَتِ الأَيْدِي وَالأَرْجُلُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَدًا. قَالَ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «صَدَقَتْ صَدَقَتْ؛ كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً لاَ يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ؟!».[صحيح سنن ابن ماجه للألباني ٣٢٣٩].

وقوله تعالى: «وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ» أَيْ تَقُولُ لَهُمُ الأَعْضَاءُ وَالْجُلُودُ حِينَ يَلُومُونَهَا عَلَى الشَّهَادَةِ عَلَيْهِمْ: مَا كُنْتُمْ تَتَكَتَّمُونَ مِنَّا الَّذِي كُنْتُمْ تَفْعَلُونَهُ، بَلْ كُنْتُمْ تُجَاهِرُونَ اللَّهَ بِالْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَلاَ تُبَالُونَ مِنْهُ فِي زَعْمِكُمْ، لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ لاَ تَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ يَعْلَمُ جَمِيعَ أَفْعَالِكُمْ، وَلِهَذَا قال تعالى: «وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ» أَيْ هَذَا الظَّنُّ الْفَاسِدُ وَهُوَ اعْتِقَادُكُمْ أن الله تعالى لاَ يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ هُوَ الَّذِي أَتْلَفَكُمْ وَأَرْدَاكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ، «فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ» أَيْ فِي مَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ، خَسِرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ. [تفسير ابن كثير ٤/٩٦].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: اجْتَمَعَ عِنْدَ الْبَيْتِ قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ - أَوْ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ - كَثِيرَةٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ، قَلِيلَةٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتُرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ؟ قَالَ الآخَرُ: يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا، وَلاَ يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا. وَقَالَ الآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل: «وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ» الآيَةَ. [صحيح البخاري ٤٨١٧].

فالواجب على الإنسان أن يراقب الله تعالى في جميع أحواله، وفي كل أوقاته، وأن يكون من الموقنين بأن الله سميعٌ لكل الأقوال، عليمٌ بكل الأفعال، «يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» [التغابن: ٤]، فليحذر العاقل أن يسمع الله تعالى منه القبيح، أو يراه منه. وما أحسن قول القائل:

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل
خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما تخفي عليه يغيب

قال الله تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» [المجادلة: ٧].

قال تعالى: «فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ» يعني أن النار مسكنهم ومنزلهم، صبروا عليها- وأنى لهم الصبر- أم لم يصبروا، كما قال تعالى: «يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣) هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤) أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥) اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا

Upload by: altawhedmag.com

«سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» [الطور: ١٣- ١٦]، وقد اعترفوا هم أنفسهم بذلك، كما قال تعالى: «وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ» [إبراهيم: ٢١].

«وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ»: يعني إن يطلبوا من الله أن يرضى عنهم، ويقبل عذرهم، ويقيل عثرتهم، ويُكفرَ عنهم سيئاتهم، فلن يجيبهم الله إلى ما طلبوا لفوات أوانه، كما قال تعالى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ» [فاطر: ٣٦- ٣٧].

أولياء الشيطان:

يقول تعالى: «وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ» يعني هيئنا لهم، وسلطنا عليهم الشياطين، كما قال تعالى: «وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ» [الزخرف: ٣٦- ٣٧]، «فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» من الدنيا وشهواتها، حتى تعلقت قلوبهم بها، «وَمَا خَلْفَهُمْ» من الآخرة، فأقنعوهم أنه لا بعث ولا حساب، ولا جنة ولا نار، «وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ» [الجاثية: ٢٤]، وبهذا استحقوا العذاب، ولذا قال الله تعالى: «وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ» أي كلمة العذاب «فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ» أي كما حَق القول على أمم من قبلهم قالوا مثل قولهم، من الجن والإنس، «إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ» حيث اشتروا الضلالة بالهدى، والعذاب بالمغفرة.

موقف المشركين من القرآن الكريم:

«وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ»:

يخبر تعالى عما تواصى به كفار مكة، من عدم الاستماع للقرآن وعدم اتباعه، وأنهم نهى بعضهم بعضا عن ذلك، كما تواصوا إذا قرئ القرآن أن يرفعوا أصواتهم بالصفير والغناء، وغير ذلك من لغو الكلام، حتى لا يصل صوت القارئ إلى أحد من الناس، فلا يتبعه أحد، فيكونون بذلك قد غلبوا محمدًا صلى الله عليه وسلم وصرفوا الناس عنه، فتوعدهم الله على ما قالوا، فقال: «فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ»؛ لأن الحسن من أعمالهم غير مقبول، لكفرهم بربهم، قال تعالى: «مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ» [إبراهيم: ١٨]، وقال تعالى: «وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا» [الفرقان: ٢٣]، فإذا بطل الحسن من أعمالهم، لم يبق إلا الأسوأ ليجزيهم الله به، وهذا بخلاف المؤمنين، فإن الله تعالى يكفر عنهم سيئاتهم، ويجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون، كما قال تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ» [العنكبوت: ٧]، وقال تعالى: «وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ» [الزمر: ٣٣- ٣٥].

ثم بيّن الله تعالى جزاء الكافرين فقال: «ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ»:

«ذلك» مبتدأ، «جَزَاءُ» خبره، «الدار» عطف بيان، أو بدل، يعني أن جزاء أعداء الله هو النار، «لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ» وما هم منها بمخرجين، كما قال رب العالمين: «يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ» [المائدة: ٣٧]، وقال تعالى: «وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ» [السجدة: ٢٠]، ولذلك قال هنا: «جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ».

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

نعمتان.. نسي شكرهما الكثير

إعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله الذي جعل الأعمار مواسم يربح فيها الشاكرون فهي لهم نعمة، ويخسر فيها الجاحدون فهي عليهم حسرة، قدَّرها الله لبلوغ الأمل، وتدارك الخلل، وقد جعل الله «زمن العافية» من أجلِّ النعم وأعظم المنن التي لا ينبغي أن يجحدها موفَّق.

ونعمة «زمن العافية» تتفرع- في الحقيقة - إلى نعم كثيرة؛ منها نعمة الوقت، ونعمة الصحة، ونعمة الكفاية، ونعمة الستر، وغير ذلك من النعم، ومع بعضٍ من هذا يحدثنا إمام المحدثين - البخاري رحمه الله - فيقول:

حدثنا المَكِّيُّ بن إبراهيم أخبرنا عبد اللهِ بن سَعِيد عن أبيه عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ من الناس: الصِّحَّةُ، وَالْفَرَاغُ».

أولاً: العزو (مقتصرًا على الكتب الستة):

١- (صحيح البخاري، كتاب الرِّقَاق، باب ما جاء في الصحة والفراغ وأَنْ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ (٥/٢٣٥٧) (٦٠٤٩) ط/٣/دار ابن كثير، تحقيق: د. مصطفى البغا).

٢- السنن الكبرى للنسائي (كتاب الرقاق) (١٠/٣٨٧) (١١٨٠٠)، ط/دار الرسالة،ت/شعيب الأرناءوط.

٣- (سنن الترمذي(٤/٥٠) (٢٣٠٤) كتاب الزُّهْد، باب الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ من الناس، ط/دار إحياء التراث العربي ت: أحمد محمد شاكر).

٤- (سنن ابن ماجه كتاب الزهد، باب الحكمة، (٢/١٣٩٦)(٤١٧٠) ط/دار الفكر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

ثانيًا: رجال الإسناد باختصار:

١- المَكِّيُّ بن إبراهيم: هو ابن بشير التميمي البلخي أبو السكن، ثقة ثبت، مات سنة خمس عشرة ومائة وله تسعون سنة وَهُوَ اسْمٌ بِلَفْظِ النَّسَبِ (إلى مكة)، وذكره البخاري بالألف واللام في أوله وذكره غيره (مكي) بغيرهما ((تقريب التهذيب(٩٦٩)، ط/العاصمة)).

٢- عبد اللَّه بن سَعِيد (والذي عليه مدار الحديث): عبدُ الله بن سَعيد بن أبي هند، أبو بكر المدني، صدوق ربما وهم، مات سنة بضع وأربعين ((تقريب التهذيب(٥١٢)،ط/العاصمة))، وهو مِنْ صِغَارِ التَّابِعِينَ لِأَنَّهُ لقِيَ بَعْضَ صِغَارِ الصَّحَابَة (لقيَ أَبَا أُمَامَةَ بْنَ سَهْل بن حنيف).

فائدة: ما معنى مدار إسناد الحديث؟: الجواب: هو الراوي الذي تلتقي أسانيد ذلك الحديث عنده مهما تعددت، فينفرد بذلك الحديث مطلقاً، ثم يرويه عنه اثنان فأكثر وهو يفيد في الحكم على الحديث؛ (رفعًا أو وقفًا، وصلاً أو إرسالا)؛ وذلك تبعاً للقرائن التي لا تُدرك إلا بمعرفة (مدار الإسناد) (انظر: (منزلة مدار الإسناد في علم علل الحديث) لمحمد مدار الخطيب (خاتمة رسالة ماجستير من جامعة أم درمان».

٣ - المقصود بأبيه: سعيد بن أبي هند الفزاري مولاهم (أي: مولى الفزاريين، وهو مولى سمرة بن جندب الفزاري)، ثقة توفي: ١١٦هـ (تقريب التهذيب . العاصمة (ص: ٣٩٠» (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٩/٢٣٦».

فائدتان:

١- ليس لسعيد بن أبي هند عن ابن عباس في الصحيح غير هذا الحديث (الجمع بين الصحيحين للحميدي ٢/١١٥).

٢- توضيح لكلمة مولاهم التي كثيرًا ما تقابلنا في التراجم:

نقول تأتي هذه الكلمة على معنى من أربع ،أهمهما معنيان:

أ- مولى عتاقة - وهو الأكثر -: (أي: أن القبيلة الفلانية أعتقته، فيُنسب إلى القبيلة بكلمة

Upload by: altawhedmag.com

مولاهم).
ب- مولى إسلام: بأن أسلم على يد واحد من القبيلة، كالبخاري الإمام مولى الجعفيين، أسلم بعض أجداده على يد واحد من الجعفيين (أفاده النووي في «تهذيب الأسماء واللغات» (١/١٤)).
٣- ابن عبَّاس: هو ابن عم رسول الله، من صغار الصحابة، كأن يسمى الحِبر والبحر لكثرة علمه وحدَّة فهمه، وُلد عام الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي بالطائف سنة ثمان وستين (معرفة الصحابة لأبي نعيم، ٣\ ١٦٩٧،١٦٩٦) ط/دار الوطن.

ثالثا: درجة الحديث:

حديث صحيح بحكم إمام المحدثين البخاري رحمه الله.

رابعا: شرح ألفاظ الحديث:

١- قوله (نعمتان): قال ابن الخازن: «النعمة ما يتنعَّم به الإنسان ويستلذه. [«قوت المغتذي على جامع الترمذي للسيوطي(٢/٥٥٩)].
٢- قوله: (مغبون): إمَّا مُشْتَقّ من الْغبْن بسُكُون الْبَاء وَهُوَ النَّقْص فِي البيع، وَإِمَّا من الْغبَن بِفَتْح الْبَاء وَهُوَ النَّقْص فِي الرَّأْي، فَكَأَنَّهُ قَالَ: هَذَانِ الْأَمْرَانِ إِذا لم يُستعملا فيمَا يَنْبَغِي فقد غُبن صَاحبهمَا فيهمَا، وقوله (مغبون فيهما) أي في النعمتين (إرشاد الساري للقسطلاني (٩/٢٣٦) ط٧، المطبعة الكبرى).
٣- قَوْله: (الصِّحَّة): أَي إِحْدَى النعمتين: الصِّحَّة فِي الْأَبدَان.
٤- قَوْله: (والفراغ):أَي الْأُخْرَى منْهُمَا الْفَرَاغ، وَهُوَ عدم مَا يشغلهُ من الْأُمُور الدُّنْيَوِيَّة. (عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٣/٣١)).

خامسا: في رياض الحديث:

في هذا الحديث الشريف يخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم عن نعمتين من أجل النعم وأعظم المنن التي وهبنا الله تعالى، ألا وهما نعمة الصحة التي بها يستطيع الإنسان أداء أعماله، ونعمة الفراغ التي يستطيع الإنسان بسبب استغلالها تحقيق آماله .
هذا وإن الإنسان قد يكون صحيحاً ولا يكون متفرغاً لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنياً عنده سعة في وقته ولا يكون صحيحاً، فإذا اجتمعا واستعملهما المرء في طاعة مولاه لعلمه أنه راحل إلى أخراه متمثلا قول القائل:

وما المرءُ إلا راكبٌ ظهرَ عمره
على سفَرٍ يُفْنِيه باليوم والشهرِ
يَبيتُ ويُضْحِي كل يوم وليلةً
بعيدًا عن الدُّنيا قريباً إلى القبرِ

فهو موفق مغبوط، وإن قصر في ذلك فهو الخاسر المغبون، وأول مظاهر شكر النعم امتثال الأوامر واجتناب النواهي.
هذا وقد أدرك سلفنا رحمهم الله قيمة هذه النعم تبصر ذلك في أحوالهم وأقوالهم مما يدل على شكرهم لها.

شكر السلف لنعمة (زمن العافية)

١- أبو الوفاء، علي بن عقيل الحنبلي:
نقل ابن رجب الحنبلي عن ابن الجوزي قوله: «رأيتُ بخط ابن عقيل: إني لا يحل لي أن أضيّع ساعة من عُمري، حتى إذا تعطَّل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعة، أعملتُ فكري في حال راحتي، وأنا مستطرح، فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره. وإني لأجدُ من حرصي على العلم. وأنا في عشر الثمانين أشدّ مما كنت أجدُه وأنا ابن عشرين سنة». (ذيل طبقات الحنابلة، ١/١٢٩).
٢- يقول الإمام ابن القيم في «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» (ص ٢٠٨و٢٠٩): «أعلى الفكر وأجلها وأنفعها ما كان لله، ومن ذلك الفكرة في واجب الوقت ووظيفته، وجمع الهمّ كله عليه، فالعارف ابن وقته، فإن أضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها، فجميع المصالح إنما تنشأ من الوقت، فمتى أضاع الوقت لم يستدركه أبدًا!، فوقت الإنسان هو عمره في الحقيقة، ومادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة المعيشة الضنك في العذاب الأليم فإذا قطع وقته في الغفلة والشهوة والأماني الباطلة، فموت هذا خيرٌ له من حياته، وإذا كان العبد وهو في الصلاة: ليس له من الصلاة إلا ما عقل منها، فليس له من عمره إلا ما كان فيه بالله ولله تعالى).ا.هـ بتصرف يسير.
٣- ولابن الجوزي في تقدير الوقت كلام نفيس في كثير من كتبه:
- يقول في: ((تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر (ص: ٦٠)، ط/دار البشائر ت/محمد بن ناصر العجمي) : (وكان (عامر بن عبد قيس)

Upload by: altawhedmag.com

يصلي كل يوم ألف ركعة، ولقيه رجل، فقال: أكلمك كلمة، فقال: أمسك الشمس (حتى أكلمك)، وقال لرجل سأله في مسألة: عجل فإني مبادر. قال: وما الذي تبادر قال: خروج روحي .
وقال (عثمان الباقلاني): أبغض الأشياء إلى وقت إفطاري لأني أشتغل بالأكل عن الذكر وقال أيضا: إني وقت الإفطار أحس بروحي كأنها تخرج، لأجل اشتغال بالأكل عن الذكر.
وكان (داود الطائي) - رحمه الله - يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز. فقيل له في ذلك، فقال: بين أكل الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية)) ا.هـ بتصرف، وله في نفس الرسالة كلام مهم في أطوار عمر الإنسان وما يلائم كل طور منها يضيق المقام عن نقله أنصح إخواني بمراجعته.
٤- ويقول ابن الجوزي في رسالته لولده «لفتة الكبد في نصيحة الولد» (ص٢): «الكسل عن الفضائل بئس الرفيق! وحب الراحة يورث من الندم ما يربو على كل لذة، فانتبه واتعب لنفسك، واندم على ما مضى من تفريطك، واجتهد في لحاق الكاملين ما دام في الوقت سعة، واسق غصنك ما دامت فيه رطوبة، واذكر ساعتك التي ضاعت، فكفى بها عظة، ذهبت لذة الكسل فيها، وفاتت مراتب الفضائل! وإنما تقصر الهمم في بعض الأوقات، فإذا حثت سارت، وما تقف همة إلا لخساستها! وإلا فمتى علت الهمة فلا تقنع بالدون.

إذا ما علا المرء رام العلا
ويقنع بالدون من كان دونا

ا.هـ بتصرف، وهي رسالة صغيرة الحجم عظيمة النفع فجزاه الله خيرا.
٥- حماد بن سلمة، رحمه الله: نقل الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٠٨/٧)،ط/دار الحديث) عن عبد الرحمن بن مهدي قوله: لو قيل لحماد بن سلمة: إنك تموت غدًا ما قدر أن يزيد في العمل شيئًا (وذلك لاستثماره لزمن عافيته)، وقال موسى بن إسماعيل التبوذكي: لو قلت لكم: إني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكا لصدقت، كان مشغولا: إما أن يحدّث أو يقرأ، أو يسبّح، أو يصلي، وقد قسم النهار على ذلك) ا.هـ بتصرف.
٦- الخليل بن أحمد رحمه الله:
يقول أبو هلال العسكري في كتابه «الحث على طلب العلم» (ص ٨٧) ط/المكتب الإسلامي): «كان الخليل بن أحمد يقول: أثقل الساعات عليّ: ساعة آكل فيها)!!
٧- يقول الضياء المقدسي واصفًا الحافظ عبد الغني المقدسي فيما نقله عنه الذهبي رحمهم الله جميعا: «وكان لا يضيع شيئا من زمانه؛ كان يصلي الفجر، ويلقن القرآن، وربما لقن الحديث، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي ثلاثمائة ركعة بالفاتحة والمعوذتين إلى قبيل الظهر، فينام نومة فيصلي الظهر، ويشتغل بالتسميع أو النسخ إلى المغرب، فيفطر إن كان صائمًا، ويصلي العشاء ثم ينام إلى نصف الليل أو بعده، ثم يتوضأ ويصلي إلى قريب الفجر... ثم ينام نومة يسيرة قبل الفجر، وهذا دأبه».(تذكرة الحفاظ للذهبي (١١٣/٤) ط/ دار الكتب العلمية).

ما يُستفاد من الحديث:

١- الرِّقَاقُ: بِالْكَسْرِ جَمْعُ رَقِيق، والْمُرَادَ بِهَا الْكَلِمَاتُ الَّتِي تَرِقُّ بِهَا الْقُلُوبُ إِذَا سُمِعَتْ، وَتَرْغَبُ عَنِ الدُّنْيَا بِسَبَبِهَا، وَتَزْهَدُ فِيهَا. سُمِّيَتْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تُحْدِثُ رِقَّةً وَرَحْمَةً. والرقة إذا أضيفت للقلب صارت محمدة وإذا أضيفت للبدن صارت مذمة «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٢٢٥/٨)».
- عظيم نعمة الله على عباده في الصحة والكفاية؛ لأن المرء لا يكون فارغًا حتى يكون مكفيًا مؤنة العيش في الدنيا، فمن أنعم الله عليه بهما فليحذر أن يغبنهما، ومما يُستعان به على دفع الغبن أن يعلم العبد أن الله تعالى خلق الخلق من غير ضرورة إليهم، وبدأهم بالنعم الجليلة من غير استحقاق منهم لها، فمنّ عليهم بصحة الأجسام وسلامة العقول، وضمن أرزاقهم وضاعف لهم الحسنات ولم يضاعف عليهم السيئات وأمرهم أن يعبدوه ويعتبروا بما ابتدأهم به من النعم الظاهرة والباطنة، ويشكروه عليها بأحرف يسيرة، وجعل مدة طاعتهم في الدنيا منقضية بانقضاء أعمارهم، وجعل جزاءهم على ذلك خلودًا دائمًا في جنات لا انقضاء لها مع ما ذخر لمن أطاعه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فعلى العاقل إدراك مصلحته. (شرح صحيح البخاري لابن بطال

Upload by: altawhedmag.com

(١٤٦/١٠) بتصرف.

- اخْتُلِفَ فِي أَوَّلِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ؛ فَقِيلَ: الْإِيمَانُ، وَقِيلَ الْحَيَاةُ، وَقِيلَ الصِّحَّةُ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى فَإِنَّهُ نِعْمَةٌ مُطْلَقَةٌ، وَأَمَّا الْحَيَاةُ وَالصِّحَّةُ فَإِنَّهُمَا نِعْمَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ، وَلَا تَكُونُ نِعْمَةً حَقِيقَةً إِلَّا إِذَا صَاحَبَتِ الْإِيمَانَ، وَحِينَئِذٍ يُغْبَنُ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَيْ يَذْهَبُ رِبْحُهُمْ أَوْ يَنْقُصُ، فَمَنِ اسْتَرْسَلَ مَعَ نَفْسِهِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ الْخَالِدَةِ إِلَى الرَّاحَةِ فَتَرَكَ الْمُحَافَظَةَ عَلَى الْحُدُودِ وَالْمُوَاظَبَةَ عَلَى الطَّاعَةِ فَقَدْ غُبِنَ، وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ فَارِغًا فَإِنَّ الْمَشْغُولَ قَدْ يَكُونُ لَهُ مَعْذِرَةٌ بِخِلَافِ الْفَارِغِ فَإِنَّهُ يَرْتَفِعُ عَنْهُ الْمَعْذِرَةُ وَتَقُومُ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ. [انظر: فتح الباري لابن حجر (٢٣٠/١١)].

تطبيقات عملية:

١- الواجبات أكثر من الأوقات، وليس اغتنام الإنسان للوقت يعني أن يتبتل الشخص، أو يتجرد للعبادة، أو ينعزل عن الناس تماماً، فالإسلام لا يدعو للرهبانية، فهناك متطلبات شرعية لو أراد الشخص استيفاءها لضاق الوقت عليه دون إكمالها، فمن تلك الأمور المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها وفي المسجد، ثم المحافظة على الأذكار بعد الصلوات المكتوبات، وصلاة الضحى، وحفظ ما تيسر من القرآن الكريم، والمحافظة على تلاوتها لئلا يتفلت.

٢- كثيرٌ من مستحدثات العصر مع تطورها تعتبر معاول لهدم قوة الشباب وإرخاء عزيمته، وتمييع إرادته، كالإكثار من مشاهدة التلفاز بزعم الاستفادة من برامجه وهو في الحقيقة يشتمل على كثير من المغالطات واستهلاك الأوقات، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، ولا يفهم من كلامي تبني المنع من الاستفادة من تطورات العصر ولكن كل شيء له ضوابطه.

٣- ومن الأمور التي تضيّع الوقت: عدم التزام الكثير من الناس بالآداب الاجتماعية كآداب الزيارة وآداب التهنئة وآداب العزاء، فنجد أن هذه الأمور صارت في زماننا هذا مظاهر اجتماعية لا تنتمي للشرع ولا تتقيد بتعاليمه، فقد صارت موضعاً للترفيه والاستئناس والتفكه معهم بطريقة تخرج الإنسان عن دائرة الورع وتقحمه في إطار الغوغاء من الناس.

٤- (الزمان الذي نعيش فيه ظرف عابر لا يتجدد ولا يعود، وقد قيل:

ما مضى فات والمؤمل غيب
ولك الساعة التي أنت فيها

وقد يخيل للبعض أن الأيام ستفرغ له في المستقبل من الشواغل، وتصفو له من المكدرات والعوائق، وأنه سيكون فيها أفرغ منه في الماضي أيام الشباب، ولكن الواقع المشاهد على العكس من هذا، وصدق القائل:

أترجو أن تكون وأنت شيخ
كما قد كنت أيام الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب
دريس كالجديد من الثياب

(أفاده الخطيب في تاريخ بغداد (١٢٤:١٤) ط/دار الغرب الإسلامي).

وعليه فيجب على الإنسان أن يبادر ولا ينتظر فالله أعلم بما هو آت.

بعض الأسباب التي تعين على شكر نعمة (زمن العافية):

١- التوبة من جديد، والتخلص من أسباب تضييعه.
٢- التوكل على الله.
٣- النظر في سير الأعلام من السابقين واللاحقين والاقتداء بهم والاستفادة منهم
٤- مصاحبة المجدين النبهاء المقدرين لنعمة الوقت.
٥- الأخذ بأسباب إدارة الوقت المعينة والتي منها:
أ- وضع خطة واضحة ومقسَّمة على مراحل.
ب- التخلص من كل الشواغل التي تعوق العمل.
ج- ترتيب الأولويات (الأهم فالمهم).

وفوق ما ذكر عليك بسبب الدعاء الذي لا يخطئ سهمه، وقد قال الله: (ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ) (غافر/٦٠)، وصدق الشافعي الإمام إذ يقول:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه
وما تدري بما صنع الدعاءُ!!
سهام الليل لا تُخطئ ولكن
لها أمدٌ وللأمد انقضاءُ

والله وحده أسأل أن يتم علينا نعمه، وأن يرزقنا شكرها، وأن يحفظها علينا؛ إنه خير مسئول، وأكرم مأمول، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

القسم الثاني درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

الحلقة ١٩

إعداد/ علي حشيش

١٩١- (لَنْ يَنْهَقَ الْحِمَارُ حَتَّى يَرَى شَيْطَاناً، فَإِنْ كانَ ذلِكَ فَاذْكُرُوا الله وَصَلُّوا عَلَيَّ).

الحديث لا يصح: أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ح٣١٤) وآفته معمر بن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع وأبوه محمد، قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (١٧٠/١/١): «محمد بن عبيد الله منكر الحديث. قال ابن معين: ليس بشيء هو وابنه معمر».

ملحوظة: هذا الحديث المنكر ذِكْر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه من منكراتها، فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه (ح٣٣٠٣)، ومسلم في «صحيحه» (ح٢٧٢٩) من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكًا، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطانًا». اهـ.

١٩٢- (كانَ إِذَا أُوحِيَ إِلَيْهِ وُقِذَ لِذَلِكَ سَاعَةً كَهَيْئَةِ السَّكْرَانِ).

الحديث لا يصح: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٩٥/١) قال: أخبرنا عبيد الله بن موسى العبسي قال: أخبرنا إسرائيل عن جابر عن عكرمة قال: فذكره مرفوعًا، قلت: إسرائيل هو ابن يونس، وجابر هو ابن يزيد الجعفي، وعكرمة هو مولى ابن عباس، فهذا حديث باطل بالسقط في الإسناد؛ فعكرمة تابعي ورفعه، فالخبر مرسل، وذكره الذهبي في «الميزان» (١٤٢٥/٣٧٨/١)، ونقل عن جرير بن عبد الحميد قال: لا أستحل أن أحدث عن جابر الجعفي كان يؤمن بالرجعة.

١٩٣- (مَنْ لَقِيَ اللَّهَ وَرِعًا أَعْطَاهُ ثَوَابَ الْإِسْلَامِ كُلِّهِ).

الحديث لا أصل له، أورده الغزالي في الإحياء (٩١/٢)، وقال الحافظ العراقي في «المغني»: «لم أقف له على أصل». اهـ.

١٩٤- (مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ).

الحديث لا يصح، قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٦٣/٤): «رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث أنس بسند ضعيف».

قلت: ولكن صح هذا الخبر من كلام عمر بن عبد العزيز رحمه الله؛ فقد أخرجه أبو نعيم في «الحلية»

Upload by: altawhedmag.com

(٣٢٥/٥) من طريق بشر بن عبد الله بن بشار السلمي قال: خطب عمر- يعني ابن عبد العزيز- الناس فقال: أيها الناس لا يبعدن عليكم ولا يطولن يوم القيامة، فإنه من وافته منيته فقد قامت عليه قيامته.

١٩٥- (ثَلَاثٌ فِيهِنَّ الْبَرَكَةُ: الْبَيْعُ إلى أَجَلٍ، وَالْمُقَارَضَةُ، وَأَخْلَاطُ الْبُرِّ بِالشَّعِيرِ لِلْبَيْتِ لَا لِلْبَيْعِ).

الحديث لا يصح: أخرجه ابن ماجه في «السنن» (ح٢٢٨٩): قال: حدثنا الحسن بن علي الخلال حدثنا بشر بن ثابت البزار، حدثنا نصر بن القاسم، عن عبد الرحيم بن داود، عن صالح بن صهيب عن أبيه مرفوعًا قال البوصيري في «زوائد ابن ماجه» (٢٠١/٢) (ح٨٠٤): «هذا إسناد ضعيف، صالح بن صهيب مجهول، وعبد الرحيم بن داود حديثه غير محفوظ، قاله العقيلي، ونصر بن القاسم قال البخاري: حديثه موضوع، وهذا المتن ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من طريق صالح بن صهيب به». اهـ.

١٩٦- (الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ؛ فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا).

الحديث لا يصح: أخرجه الترمذي في «السنن» (٤٩/٥) (ح٢٦٨٧) من حديث أبي هريرة مرفوعًا وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه». اهـ. قلت: وعلته إبراهيم بن الفضل المدني المخزومي، ذكره الذهبي في «الميزان» (١٦٥/٥٢/١)، وقال: «شيخ مدني ضعيف يروي عن سعيد المقبري، قال ابن معين: ليس بشيء، وقال النسائي وجماعة: متروك». اهـ.

١٩٧- (رَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ، زَوَّجَنِي ابْنَتَهُ، وَحَمَلَنِي إلى دَارِ الْهِجْرَةِ، وَأَعْتَقَ بِلالا مِنْ مَالِهِ، رَحِمَ اللَّهُ عُمَرَ، يَقُولُ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا، تَرَكَهُ الْحَقُّ مَا لَهُ صَدِيقٌ، رَحِمَ اللَّهُ عُثْمَانَ، تَسْتَحْيِيهُ الْمَلائِكَةُ، رَحِمَ اللَّهُ عَلِيًّا، اللَّهُمَّ أَدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ).

الحديث لا يصح: أخرجه الترمذي في «السنن» (٥٩١/٥) (ح٣٧١٤) من حديث علي مرفوعًا وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه والمختار بن نافع شيخ بصري كثير الغرائب». قلت: وهو علته ذكره ابن حبان في المجروحين (٩/٣)، وقال: كنيته أبو إسحاق التمار يروي عن أبي حيان التيمي منكر الحديث جدًا، كان يأتي بالمناكير عن المشاهير حتى يسبق إلى القلب أنه كان المعتمد لها. ثم أخرج له هذا الحديث من مناكيره.

١٩٨- (أَعْدَى عَدُوِّك نَفْسُك الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْك).

الحديث لا يصح: قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/٣): «رواه البيهقي في كتاب الزهد من حديث ابن عباس، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضاعين». اهـ.

١٩٩- (اتق شَرَّ مَنْ أَحْسَنْتَ إليه).

الحديث لا أصل له: أورده الحافظ السخاوي في «المقاصد» (ح٢٥) وقال: «لا أعرفه». اهـ.

Upload by: altawhedmag.com

منبر الحرمين

التفاؤل والتشاؤم

إعداد/ الشيخ سعود بن إبراهيم الشريم
إمام وخطيب المسجد الحرام بمكة المكرمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينُه، ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضلَ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُ الله ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهُدى هُدى محمد -صلى الله عليه وسلم-، وشرَ الأمور مُحدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بجماعة المسلمين؛ فإن يدَ الله على الجماعة، ومن شذَ عنهم شذَ في النار: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

تزايد المحن والمصائب يدفع الإنسان لليأس والتشاؤم:

أيها المسلمون: في مُعترَك هذه الحياة وهمومها وغمومها، وعُجَر الإنسان وبُجَره التي تغلي بفؤاده غليَانًا، لا يحتملُ معه هواءً ولا وقودًا يزيدُه اشتعالاً، ولا ماءً يزيدُ طينَه بِلة، حتى يكون حرَضًا أو يكون من الهالكين.

إنها ضُروفُ حياة مُوجعة ترى الناسَ فيها يغدُون، فبائعٌ نفسَه منهم فمُعتقُها أو مُوبقُها، هكذا هم الناسُ مع الغِيَر والمِحَن التي تُصيبُهم أو تحُلُ قريبًا من دارهم، إلا من رحِم الله، وقليل ما هم.

إننا لنُشاهِد بأعيُننا ونسمعُ بآذاننا المصائبَ إثرَ المصائب، والأحزانَ إثرَ الأحزان لإخوانٍ لنا في الدين، أو جيرانٍ أو قرابةٍ، أو لنا نحن قبلَهم أو بعدهم -عافانا الله وإياكم منها-، فنقفُ أمامَها مُحدقِي الأبصار، نخبطُ في التعامُل معها خبطَ عشواء، يغلبُ علينا بسببها اليأسُ والقنوطُ والتشاؤُم الذي لا يزيدُ الكربَ إلا ضيقًا، ولا الضيقَ إلا حرَجًا، كأنما يصعَدُ أحدُنا في السماء، فلا يزيدُ الجُرحَ إلا إيلامًا.

كل ذلكم يعترينا على فترة من الفَأْل والأمل بالله؛ إذ كلُنا أحوجُ ما نكُونُ في المضائق والمُدلهِمَات إلى استحضار طيف السَعَة، وفي الكُروبَ إلى استحضار طيفِ الفرَج.

إن أيَ مُجتمع لم تطلْه نيرانُ الحروب والتدمير من الداخل والخارج لهُوَ في عافيةٍ وسلامة، فليَرْعَها وليستجلِبْ أسبابَ أمنِه الفكريَ والغذائي والصحي والمالي والجنائي على حد سواء، وليبذل قوتَه وجَهدَه لدفع أسباب الفوضى والتفرُق والتشرذُم قبل ألا ينفعَ حولٌ لنا ولا قوة.

وإن الوقايةَ خيرٌ من العلاج، والدفعَ أولَى من الرَفع، وإذا لم يُغبر حائطٌ في وقوعِه فليس له بعد الوقوع غبار.

أحسن أدوية المحن والملمات وأنفعها في الحال والمآل:

إن أحسنَ أدوية المِحَن والمُلِمَات، وأنفعها في الحال والمآل: هو حُسنُ الظَن بالله، من خلال وجودِ الفَأل الحسن في داخلَة المرء؛ إذ بالفَأْل يحسُنُ ظنُك بربك وتقتدي بهدي نبيك -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنه -صلى الله عليه وسلم- كان يُعجِبُه الفَأْلُ الحسنُ، ويكرهُ الطِيَرَة -وهي

Upload by: altawhedmag.com

التشاؤم- لأنها سُوءُ ظنٍ بالله تعالى بغير سببٍ مُحقق.

فإن الله -جل وعلا- يُجري للعباد بالمصائب الأجورَ، ويرفعُ الدرجات، ويُكفرُ السيئات، ثم يُتبِعُها الفرَجَ وحُسنَ العواقب. فكم من المحن في طيَاتها منَح!! وكم من العُسر أتبعَه اليُسرُ! ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦]، ولن يغلبَ عُسرٌ يُسرَين.

غير أن بداية طريق الوُصول من العُسر إلى اليُسر هو الفَأل وحُسن الظن بالله؛ فإنه يجعلك تُحسُ بالنور ولو كنت أعمَى البصر؛ لأن التشاؤم لا يُريك إلا الظلام ولو كنتَ أبصرَ الناس.

حياةُ المصطفى -صلى الله عليه وسلم- مليئة بالفأل والتفاؤل

ولذا فإن من سبَرَ حياةَ المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وجدَها مليئةً بالفأل والتفاؤل، حتى في لقائه مع عدوه اللدُود؛ فإنه -صلى الله عليه وسلم- لما كان في صُلح الحديبية، وأقبلَ عليهم رجلٌ من قُريش -هو سُهيل بن عمرو-، قال رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: «لقد سهُلَ أمرُكم».

حب رسول الله للفأل الحسن:

ولقد كان من حُبه -صلى الله عليه وسلم- للتفاؤل لما فيه من حُسن الظن بالله، والصلة بين العبدِ وبين ربه بهذا الظن، أن راعَى حُسنَ تسمية المرء واختيارَ ما يبعثُ على التفاؤل منها على ما يبعثُ على التشاؤم.

فقد قدمَ على النبي -صلى الله عليه وسلم- جَدُّ سعيد بن المسيَب -واسمُه حَزْن-، فقال -صلى الله عليه وسلم-: «ما اسمُك؟!». قال: اسمي حَزْنٌ، قال: «بل أنت سَهلٌ». قال: ما أنا بمُغيرٍ اسمًا سمَانيه أبي. قال ابن المسيَب: «فما زالَتِ فينا الحُزُونة بعدُ». رواه البخاري.

ولم يقتصر تفاؤُل النبي -صلى الله عليه وسلم- على ما يكون في أرض الواقع؛ بل إنه يستحضره حتى في تعبير الرُؤَى المنامية؛ فقد جاء عند مسلم في صحيحه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «رأيتُ ذات ليلة فيما يرَى النائمُ كأنَا في دارِ عُقبَة بن رافع، فأُتينا برُطبٍ من رُطَب ابن طاب، فأوَلتُ الرفعةَ لنا في الدنيا، والعاقبَة لنا في الآخرة، وأن دينَنا قد طابَ».

فلله! ما أعظم الفَأل في سيرة حبيبنا وقدوتنا -صلى الله عليه وسلم-، إنه لا يُريد لأمَته أن تيأسَ أو أن تتشاءَم؛ لأنه لم يُبعَث إلا رحمةً للعالمين، يُقربُهم إلى الله، ويُحيي روحَ التفاؤل، وحُسنَ الظنِ به، حتى في حالِ الدعاءِ بين العبدِ وبين ربه.

يُذكرُنا -صلى الله عليه وسلم- بالفَأل فيقول: «ادعُوا اللهَ وأنتم مُوقنون بالإجابة». رواه الترمذي.

> وإني لأدعُو اللهَ حتى كأنما
> أرَى بجميل الظن ما اللهُ صانعُ

تربيته للأمة على الفأل الحسن:

ويُربي أمَتَه -صلوات الله وسلامُه عليه- حتى وإن اشتدَت بهم المضائق، وأنَت أنَتُهم، وحنَت حانَتُهم، وانصاحَت جبالُهم، واغبَرَت أرضُهم؛ فإن الفرَجَ في الفأل والسَعَة في الأمل بالله؛ فقد كان -صلى الله عليه وسلم- إذا استسقَى بأصحابه قلَبَ رداءَه تفاؤلًا في أن يُغيرَ الله حالَهم من الشدَة إلى الرخاء، ومن الجَدبِ إلى الغيث والإنبات.

فإذا كان هذا في انحباس المطر عنهم؛ فكيف بانحباس النصر والتمكين؟! وتغيُب عزَتهم وكرامتهم بعد أن سُلبَت منهم؟!

ذكر شيخُ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أن عليًا -رضي الله تعالى عنه- عندما أرادَ المسيرَ لقتالِ الخوارج، عرَض له مُنجمٌ، فقال له: يا أميرَ المؤمنين: لا تُسافر؛ فإن القَمرَ في العقرَب، فإنك إن سافرتَ والقمرُ في العقرَب -أي: في بُرج العقرَب- هُزِم أصحابُك. فقال عليٌ -رضي اللهُ تعالى عنه-: «بل نُسافر ثقةً بالله، وتوكُلًا على الله، وتكذيبًا لك». فسافرَ، فبُورك له في ذلك السفر، حتى قتل عامَةَ الخوارج. وكان ذلك من أعظم ما سُرَ به -رضي الله تعالى عنه-.

إنه الفَأل والأمل بالله الذي تعلمَه من حبيبه وقدوته -صلوات الله وسلامُه عليه-.

الله بيده ملكوت كل شيء فلم الجزع؟!

إنك -أيها المرءُ- مُخيَرٌ في حياتك وما يَعتريكَ

Upload by: altawhedmag.com

فيها بين اليأس والأمل، والتفاؤل والتشاؤم؛ فالأمل والتفاؤل لك مع الله، واليأس والتشاؤم لك مع الشيطان: ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٠]، وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي». رواه البخاري ومسلم.

فها هما طريقان وبابان أمامك -أيها المرء-، فانظر أيَّ الطريقين أو أيَّ البابَيْن تختارُ؟! ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ [المدثر: ٣٨، ٣٩].

الفأل علاج للتشاؤم:

واعلموا أيها الأحبة أن للمرء أن يعجبَ كل العجَب حينما يرَى مصارع أهل المصائب والابتلاءات، أفرادًا وجماعات، كيف سفُلت نفوسُهم، وخارَت همَمهم، فلم يطلبُوا رفعةً، ولم يستجلبُوا فألاً، وإنما خيَّم على أفئدَتهم جيوشُ اليأس والقنوط والحطة، فلم يجعَلوا للأمل بريقًا، ولا للفأل طريقًا.

أما لو أدرك هؤلاء جميعًا أن الله بيده ملكُوتُ كل شيءٍ، وهو يُجيرُ ولا يُجارُ عليه، وأن ما شاءَ كانَ وما لم يشأ لم يكُن؛ لما أمكنَ -مع ذلك- أن يتحكم فيهم اليأس، أو تغتالَهم غائلةُ القنوط التي تُودِي ببعضِهم إلى حُزنٍ وقلَقٍ واكتئابٍ، ولربَما كانت حبلاً ممدوداً لانتحَال الهلكَى منهم، أعاذَنا الله وإياكم من ذلك.

الفأل -عباد الله- فيه معنى الصبر والرضا، والنصر والعِزَّة والرجاء. واليأسُ والتشاؤم فيهما معنى السَخَط والهزيمة والذِلة والقلق.

الفأل لا يعني تحقُّق الأشياء بالضرورة، لكنَّه أُسُّ علاجِ التشاؤم واليأس، ففي جو الفأل يتعافَى الفِكرُ والبدنُ، ويكونُ العبدُ أقرَبَ إلى الله ورسولِه -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنهما أمرَا به. وفي جو اليأس يبعُدُ العبدُ عن الله، وعن رسولِه -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنهما قد نهَيَا عنه.

الفأل -عباد الله- أولَى خُطوات العمل، والتشاؤم أولَى خُطوات الكسَل والإخلاد إلى الأرض واتِباعِ الهوَى. الفأل -عباد الله- كالمرهَم على الجُرح، والتشاؤم كالملح على الجُرح. فالفأل -عباد الله- ثقةٌ بالله، وإيمَانٌ بقضائه وقدره، وفي التشاؤم سُوءُ ظن بالله وريبةٌ في قضائِه وقدره. الفأل حياة، والتشاؤم وفَاة.

الفألُ نورٌ للفتى وسعادةٌ
فاهنَأ بدربٍ يستضِيءُ بفالِكَا
ما الشُومُ إلا ظُلمةٌ وشقَاوةٌ
من نالَ منه الشُومُ أصبحَ هالِكًا

هذا؛ وصلُوا -رحمكم الله- على خيرِ البريةِ، وأزكى البشرية: محمد بن عبد الله، صاحب الحوض والشفاعة؛ فقد أمركم الله بأمرٍ بدأَ فيه بنفسه، وثنَى بملائكته المُسبِحةِ بقُدسه، وأيَه بكم -أيها المؤمنون-، فقال -جل وعلاَ-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صل وسلِم على عبدِك ورسولِك محمد صاحب الوجه الأنور، والجبين الأزهَر، وارضَ اللهم عن خُلفائه الأربعة: أبي بكر، وعُمر، وعُثمان، وعلي، وعن سائر صحابةِ نبيك محمد -صلى الله عليه وسلم-، وعن التابعين ومَن تبعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وجُودك وكرمك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، واخذُل الشركَ والمشركين، اللهم انصُر دينَك وكتابَك وسُنَّةَ نبيك وعبادَك المؤمنين.

اللهم فرج همَ المهمومين من المُسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين، ونفس كربَ المكرُوبين، واقضِ الدَّيْنَ عن المَدينين، واشفِ مرضانَا ومرضَى المُسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم كُن لإخواننا المُستضعَفين في دينِهم في سائر الأوطان، اللهم كُن لهم ولا تكُن عليهم، اللهم انصُرهم على من بغَى عليهم يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، اللهم اجعل شأنَ عدوهم في سفال، وأمرَه في وَبال يا حي يا قيوم، يا سميع الدعاء.

Upload by: altawhedmag.com

القلوب والفتن

د. جمال المراكبي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فلا شك أن الفتن من قدر الله المقدور؛ وذلك أن الله سبحانه خلق الدنيا وجعلها دارًا للبلاء والاختبار، وعرض الأمانة على الكائنات فأبينها وأشفقن منها وتحملها الإنسان فصار عرضة للبلاء والافتتان، قال الله تعالى: «تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ» [الملك: ١- ٢].

وقال سبحانه: «إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا» [الأحزاب: ٧٢- ٧٣].

وقال تبارك وتعالى: «أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ» [العنكبوت: ٢- ٣].

وكانت أولى الفتن بين أبي البشر آدم عليه السلام وبين إبليس فأبى إبليس أن يسجد لآدم وادعى أنه خير من آدم، ووسوس اللعين لآدم فأكل من الشجرة التي حرّمها الله عليه في الجنة فأهبط إلى الأرض ليبدأ هو وذريته سلسلة من الابتلاءات والرزايا والتردد بين الهدى والضلال.

ولقد قصَّ الله علينا قصة الخلق والبلاء لنكون على استعداد لتحمل الأمانة العظيمة، ولنحذر من العدو المبين، قال الله تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ» [البقرة: ٣٤- ٣٩].

وقال سبحانه: «وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ

Upload by: altawhedmag.com

يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ » [الأعراف: ١١- ٢٧].

القلب عرضة للفتن:

القلب للإنسان هو موضع الإيمان ومستقر التصديق أو الكفران، فالقلب ملك الأعضاء، وكل الجوارح تبعٌ له، قال رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ: «... ألا وَإِنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسدُ كُلُّهُ، وَإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وَهِيَ القَلْبُ»[صحيح البخاري: ٥٢].

فالقلوبُ هِيَ الأَصْل في التقوى وَالفُجُور، وَصَلاحُ الجَوَارح بِصَلاح القلوب.

قال الله تعالى في الحَديث القدسي: «... يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُم وَآخِرَكُم وَإِنسَكُم وَجِنَّكُم كَانُوا عَلَى أتقى قلب رَجُلٍ وَاحِدٍ منكم، مَا زَادَ ذَلِكَ في مُلكِي شيئاً، يَا عِبَادِيَ لَو أَنَّ أَوَّلَكُم وَآخِرَكُم وَإِنسَكُم وَجِنَّكُم كَانُوا عَلَى أفجر قلب رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيئًا» [صحيح مسلم ٢٥٧٧].

وَفِي هَذَا دَليلٌ عَلَى أَنَّ القُلُوبَ هِيَ الأَصْل في التَّقْوَى وَالفُجُور، فَإِذَا بَرَّ القَلْبُ واتَّقى بَرَّتِ الجَوَارِحُ، وَإِذَا فَجَرَ القَلْبُ فَجَرَت الجَوَارِحُ.

وقال رَسولُ الله: التقوى هاهنا، وأشار إلى موضع القلب.

وعَنْ أبي هُرَيرةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تَحَاسَدُوا، ولا تَنَاجَشوا، ولا تَبَاغَضُوا، ولا تَدَابَرُوا، ولا يَبِعْ بَعضُكُمْ على بَيعِ بَعضٍ، وكُونُوا عبادَ الله إخْواناً، المُسلِمُ أخُو المُسلِمِ، لا يَظلِمُهُ ولا يَخذُلُهُ، وَلا يَكذِبُهُ، ولا يَحقِرُهُ، التَّقوى هاهُنا، - ويُشيرُ إلى صدرِهِ ثلاثَ مرَّاتٍ - بِحَسْبِ امرئٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحقِرَ أخاهُ المُسلِمَ، كُلُّ المُسلِمِ على المُسلِمِ حرامٌ: دَمُهُ ومَالُهُ وعِرضُهُ. [صَحيح مسلم: ٢٥٦٤].

فالتَّقوى أصلُها في القلوب، كما قال تعالى: « ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ» [الحج: ٣٢].

لأجل هذا كانت القلوب هي الأصل في عرض الفتن، وهي محل الإيمان والكفر والنفاق، عَنْ حُذَيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّمَ: تُعرَضُ الفِتَنُ عَلَى القُلُوبِ كَعَرْضِ الحَصِيرِ عُوداً عُوداً، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَتْ فيه نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَتْ فيه نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَعُودَ القُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْنِ: قَلْبٍ أَسْوَدَ مُرْبَادّاً كَالْكُوزِ مُجَخِّياً؛ لا يَعْرِفُ مَعْرُوفاً وَلا يُنْكِرُ مُنْكَراً؛ إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ، وَقَلْبٍ أَبْيَضَ، فَلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ. [صحيح مسلم: ٤٤].

والقَلْبُ مَوْضعُ نَظر الرب تبارك وتعالى، فالله مطلع عليه، وقلوب العباد بين يديه يقلبها كيف يشاء، « وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ » [الرعد: ٢٧- ٢٨].

وقال تعالى: « يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ » [إبراهيم: ٢٧].

وقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ». [صحيح مسلم: ٢٥٦٤].

وقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّمَ: «لا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ». [مسند أحمد ١٣٠٧١ وحسنه الألباني].

لقد نظر الله إلى قلوب الكافرين والمشركين فميَّز بين الخبيث والطيب، فهدى الله الطيبين منهم إلى طاعته، ولو نظرنا إلى أهل بدر الذين كانوا مع رسول الله من المؤمنين الموفقين لوجدنا أنهم خير الناس سابقة وفضلاً، اطلع الله على قلوبهم فغفر لهم ما تقدم وما تأخر، وقال لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. [صحيح البخاري ٣٠٠٧].

أما قتلى بدر من المشركين فهم شر البرية، شرّ قتلى تحت أديم السماء، استجاب الله فيهم لنبيه حين دعا عليهم في مكة، «إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ » [الأنفال: ٢٢- ٢٣].

أما أسرى المشركين في بدر فكان من الممكن أن يلحقوا بإخوانهم من المقتولين على الشرك

Upload by: altawhedmag.com

والكفر لو قدر الله أن يثخن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّمَ في القتل، ولكن رحمة الله تعالى سبقت غضبه فدعاهم إلى التوبة والمغفرة بإذنه، فقال: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (٧٠) وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» [الأنفال: ٧٠- ٧١].

وبهذا يتجلى لنا الفارق بين عمر الفاروق وعمرو بن هشام الطاغوت، فقد دعا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ربه عز وجل أن يعز الإسلام بأحب الرجلين إليه - كما في الترمذي بسند حسن - فقال اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بعمرو بن هشام الملقب بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب وكان أحبهما إليه عمر بن الخطاب مع أنه كان مشركًا، وكان بعض الصحابة يستبعد إسلامه، فأيّ خير علمه الله عز وجل واطلع عليه من قلب عمر جعله يسبق أكثر السابقين إلى الإسلام؟!

القلبُ كثيرُ التقلّب:

القلب في لغة العرب مصدر قلب يقلب قلبًا وانقلابا فهو منقلب، فالقلب سرعان ما يتقلب من حال إلى حال، وقد أحسن من قال:

ما سُمِّيَ القلبُ إلا منْ تقلّبه
فاحْذَر عَلَى القَلْب منْ قَلْب وَتَحْويل

عَنِ المقْدَاد بْنِ الأَسْوَد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لا أَقُولُ فِي رَجُلٍ خَيْرًا وَلَا شَرًا، حَتَّى أَنْظُرَ مَا يُخْتَمُ لَهُ - يَعْنِي: بَعْدَ شَيءٍ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّمَ - قِيلَ: وَمَا سَمِعْتَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلَابًا مِنَ القِدْرِ إِذَا اجْتَمَعَتْ غَلْيًا» [مسند أحمد ٢٣٨١٧، وصححه الألباني بطرقه في «الصحيحة»].

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّمَ: إِنَّ هَذَا القَلْبَ كَرِيشَة بِفَلَاة مِنَ الأَرْض، يُقِيمُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ. [مُسند أحمد (١٩٧٥٨) وصححه الألباني].

القلبُ هدفٌ للشيطان:

قال ابن القيم: «ولما علم عدو الله إبليس أن المدار على القلب والاعتماد عليه، أجلب عليه بالوساوس، وأقبل بوجوه الشهوات إليه، وزين له من الأقوال والأعمال ما يصدّه عن الطريق، وأمده من أسباب الغيّ بما يقطعه عن أسباب التوفيق، ونصب له من المصايد والحبائل ما إن سلم من الوقوع فيها لم يسلم من أن يحصل له بها التعويق، فلا نجاة من مصائده ومكائده إلا بدوام الاستعانة بالله تعالى، والتعرض لأسباب مرضاته، والتجاء القلب إليه، وإقباله عليه في حركاته وسكناته، والتحقق بذل العبودية الذي هو أولى ما تلبس به الإنسان ليحصل له الدخول في ضمان « إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ » [الحجر: ٤٢]، فهذه الإضافة هي القاطعة بين العبد وبين الشياطين، وحصولها يسبب تحقيق مقام العبودية لرب العالمين، فإذا أُشرب القلب العبودية والإخلاص صار عند الله من المقربين، وشمله استثناء «إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ» [الحجر: ٤٠]. [انظر: إغاثة اللهفان: ١/٥].

اللهم طهّر قلوبنا ونقها من الشرك والكفر والنفاق ومن مساوئ الأخلاق، يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك واصرفها إلى طاعتك واملأها بمحبتك، وصلّ اللهم على النبي الأمين ورحمة الله للعالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تهنئة واجبة

تهنئ أسرة مجلة التوحيد فضيلة الشيخ الدكتور / عصام جاد رئيس مجلس إدارة جماعة أنصار السنة المحمدية ببورسعيد لحصوله علي درجة الدكتوراه في الحديث وعلومه من كلية أصول الدين جامعة الأزهر ، ونسأل الله عز وجل لفضيلته دوام التوفيق والسداد .. آمين.

Upload by: altawhedmag.com

لسعادة الدارين..
وخيرهما الذي يبدأ بالسلام

إعداد/ عبده الأقرع

الحمد لله ولي الصالحين، وأصلي وأسلم على سيد ولد آدم يوم الدين صلى الله عليه وسلم، أما بعدُ:

فإنَّ الناظر المتأمل في واقعنا اليوم يكاد يقول: إنَّ منافرةً شديدةً واقعةً بين الأمة وإسلامها، أو إنَّ عداوةً شرسة آخذةً بمجامع قلوبها ونواصيها، تقودُها قودًا ذليلاً حثيثًا إلى حيث تكون هلكتها!! ثم لا تجد لنفسها سبيلاً يهديها، أو سبيلاً يُنجيها!!

أسباب التقاطع والخصام:

ولم يكن ذلك كذلك إلا حين سادت الخصومات، وكثرت المنازعات، وغلب الجفاء، واستحكمت القطيعة، فأذهبت الودَّ والصفاء، وأدى ذلك إلى الشقاق والمخاصمات، وعمت الأثرة والأنانية وحُب الذات، بل حتى بين أبناء الأسرة الواحدة، وأصحاب المنهج القويم..

وصار السؤال: تُرى ما السبب في ذلك؟

والجواب الذي لا يختلف عليه اثنان أمران: هما: الشيطان، والذنوب، قال الله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ» [المائدة: ٩١]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم». [مسلم: ٤/٢١٦٦/٢٨١٢].

أي: في الخلاف والشرور والعداوة والبغضاء بينهم حتى تكون من ذلك الفتن العظيمة والخطوب الجسيمة.

لذا أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالحذر من الشيطان الرجيم، والعمل على سد المداخل التي قد يدخل عليهم منها، فقال تعالى: «وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا» [الإسراء: ٥٣]، وكثيرون أولئك الذين عصوا الرحمن واستجابوا للشيطان فهجروا إخوانهم المسلمين لأسباب غير شرعية كالخلاف على المال، وتستمر القطيعة مدة من الزمن، وقد يحلف أن لا يكلمه، وينذر ألا يدخل بيته، وإذا رآه في طريق أعرض عنه، وإذا لقيه في مجلس صافح من قبله ومن بعده وتخطاه، أهذه الأمةُ الواحدة؟ أهذه تعاليمُ الأخوة الإسلامية الصادقة؟!

وأما الذنوب: فقد قال صلى الله عليه وسلم: «ما توادَّ اثنان في الله فيُفرَّق بينهما إلا بذنب يُحدثه أحدهما». [صحيح الجامع: ٥٦٠٣]، وهذا حديث عظيم يدل على أثر من آثار الذنوب المُرَّة، ألا وهو التفريق بين المتوادين في الله المتحابين فيه.

فالعدو الماكرُ اللئيم يعرفُ متى ينقضُّ على هذه الأمة، فأول عمل يقوم به تشتيتُ جمعهم، وتفريقُ كلمتهم، والوقيعةُ بينهم، فإذا تفرقوا خَلا بهم على انفراد، ولقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم: «ما من ثلاثة في قرية ولا بدو، لا يُؤَذَّن فيهم، ولا تُقام فيهم الصلاةُ، إلاَّ قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية». [صحيح الجامع: ٤٢٧]، أي: المتخلفة عن القطيع، المنفردة وحدها؛ لأنَّ نجاتها وسلامتها ببقائها مع جماعتها من الأغنام، فالاجتماع قوة والتفرق ضعفٌ وتشتت وهوان.

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرًا
وإذا افترقن تكسرت آحادًا

أهمية التعاون في حياة البشر:

فالتعاون مطلوب من الجميع، أفرادًا وجماعات، وقد شبَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمة بالبنيان المتراص المركب من اللبنات، وكل فرد من أمة وكل فرد من أمة النبي صلى الله عليه وسلم لبنةٌ في هذا البنان، فلا بدَّ لكمال هذا البناء وسلامة بنيانه من اللبنات وتماسكها، أما إذا تفككت وتهلهلت تصدع البناء وانهار، وكذلك الأمة الإسلامية، أفرادها لبناتٌ في المجتمع

Upload by: altawhedmag.com

الإسلامي، لابدَّ من تضافر جهودهم واجتماع كلمتهم على طاعة الله سبحانه وتعالى على ما يعودُ على أمة الإسلام بالخير.

فضائل العفو عن الآخرين:

وإذا كانت السلامة متعسرة فقد أرشدَ الإسلام المسلمين إلى ما يجب عليهم إذا نالَ الشيطان من بعضهم وحرضه على أذى الغير والاعتداء عليه، فقال تعالى في معرض مدح عباده المؤمنين: «وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ» [الشورى: ٣٧]. قال الطبري: «يقول اللهُ تعالى ذكره: وإذا ما غضبوا على من اجترم إليهم جرمًا، هم يغفرون لمن أجرم إليهم ذنبه، ويصفحون عن عقوبة ذنبه». [الطبري: ٢٣/٢٥].

ولقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالعفو عن زلات المؤمنين فقال تعالى: «فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ» [آل عمران: ١٥٩].

وأمر المؤمنين بالعفو عن زلات بعضهم البعض فقال تعالى: «وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ» [الشورى: ٤٠].

وقال تعالى: «وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» [التغابن: ١٤].

وبين سبحانه أن العفو من صفات المتقين فقال تعالى: «وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى» [البقر: ٢٣٧]، ووعد على العفو مغفرةً وأجرًا عظيمًا، فقال سبحانه: «وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» [النور: ٢٢]، ورغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في العفو فقال صلى الله عليه وسلم: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه». [مسلم: ٢٥٨٨].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه: لقيتُ النبي صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده فقلتُ: يا رسول الله، أخبرني بفواضل الأعمال، فقالَ: «يا عقبة: صِلْ من قطعك، وأعط من حرمك، واعفُ عمن ظلمك». [الصحيحة: ٨٩٠، ٨٩١].

وقال صلى الله عليه وسلم: «من كتم غيظًا، وهو قادر على أن يُنفذه، دعاهُ الله على رؤوس الخلائق، حتى يخيره من أي الحور شاء». [صحيح الجامع: ٦٥١٨] أي: يزوجه إياها.

وبيَّن صلى الله عليه وسلم أن خير الرَّجُلين من بدأ بالسلام فقال صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيُعرض هذا ويُعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام». متفق عليه: البخاري (١٠٧٧)، ومسلم (٢٥٦٠).

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يحلُّ لمؤمنٍ أن يهجر مؤمنًا فوق ثلاث، فإن مرت به ثلاث فليلقه فليُسلم عليه، فإن ردَّ عليه السلام فقد اشتركا في الأجر، وإن لم يرد عليه فقد باء بالإثم وخرج المسلم من الهجرة». [صحيح الترغيب: ٢٧٥٧].

ويكفي من سيئات القطيعة بين المسلمين الحرمان من مغفرة الله، قال صلى الله عليه وسلم: «تعرض الأعمال يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لمن لا يشرك بالله شيئًا، إلا رجلاً بينه وبين أخيه شحناء، يقول: دعوا هذين حتى يصطلحا». [صحيح أبي داود: ٤١٠٦].

الحذر من داء التنافر والتناحر:

فالتوبة التوبة: من داء التنافر والتناحر، والتشاحن والتدابر، اصطلحوا أيها المتشاحنون، وتواصلوا أيها المتقاطعون، وأفيضوا جميعًا إلى ظلال المحبة والسلام، والتعاون والأخوة والوئام، تصلوا إلى ما تصبون إليه من رُشد وخير، في دنياكم وأخراكم.

إذن فلا بد من العفو عن الزلات، والغض عن الهفوات، ويبادر كل متشاحنين إلى التسامح والصفاء، والتزاور والنقاء، وليعلموا أنَّ خيرهما عند الله، وأبعدهما من الشيطان الذي يبدأ بالصلة والسلام. وحسبه قول الله: «وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ» [الشورى: ٤٠]، قال يحيى الرازي: «ليكن أقل حظ المؤمن منك ثلاثُ: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه» [الزهد والرقائق للبغدادي ١١٤/١].

فما أجمل الاتفاق! وما أقبح الفرقة والاختلاف ! وإن اتحاد المسلمين هو أول خطوة في طريق العز والمجد والسؤدد فإذا رضي المسلمون بذلك وتعاونوا عليه فبشرهم بالنصر والتمكين، «وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» [الروم: ٦].

نسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

باب الاقتصاد الإسلامي

توصيات وفتاوى مؤتمر الزكاة الأول

الحلقة الثانية

إعداد/ د. علي أحمد السالوس

الحمد لله نستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِ الله فهو المُهْتَد، ومَنْ يُضْلِلْ فلن تجد له وليًّا مرشدًا، والصَّلاة والسَّلاَم على سيِّدنا رسولِ الله، وعلى آله وصَحْبه ومَنِ اهتدى بهَدْيه واتَّبع سنَّته إلى يوم الدِّين.

أما بعد: فاستكمالا للحلقة الماضية التي تناولنا فيها توصيات وفتاوى مؤتمر الزكاة الأول الذي عُقد في دولة الكويت عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م بدعوة من بيت الزكاة الكويتي، وعُرضت فيه أبحاث، وتمت مناقشتها، كما ناقشت اللجنة العلمية أربعة جوانب لأحكام الزكاة هي:

١- زكاة أموال الشركات والأسهم والسندات.

٢- زكاة المستغلات العقارية والصناعية وغيرها.

٣- زكاة الأجور والرواتب وأرباح المهن الحرة.

٤- زكاة الأموال المشتبه فيها والمحرمة.

وانتهى المؤتمر إلى عدد من التوصيات ذكرناها في الحلقة الماضية، كما أعلن المؤتمر عن عدد من الفتاوى التي أصدرها فقهاء اللجنة العلمية، وقد ذكرنا عدداً من هذه الفتاوى في العدد السابق، ونكمل باقيها، مع التعقيب بإيجاز.

باقي فتاوى مؤتمر الزكاة الأول

٤- زكاة الأموال المشتبه فيها والمحرمة ونحوها.

السندات ذات الفوائد الربوية وكذلك الودائع الربوية يجب فيها تزكية الأصل زكاة النقود ربع العشر ٢٫٥٪ أما الفوائد الربوية المترتبة على الأصل فالحكم الشرعي أنها لا تزكي وإنما هي مال خبيث على المسلم أن لا ينتفع به وسبيلها الإنفاق في وجوه الخير والمصلحة العامة ما عدا بناء المساجد وطبع المصاحف.

أما أموال المظالم المغصوبة والمسروقة، فلا يزكي عليها غاصبها، لأنها ليست ملكه، ولكن عليه أن يردها كلها إلى أصحابها.

٥- الحول القمري

الأصل في اعتبار حولان الحول مراعاة السنة القمرية، وذلك في كل مال زكوي اشترط له الحول.

واللجنة توصي الأفراد والشركات والمؤسسات المالية باتخاذ السنة القمرية أساساً لمحاسبة الميزانيات. أو على الأقل أن تعد ميزانية لها خاصة بالزكاة وفقاً للسنة القمرية.

فإن كان هناك مشقة فإن اللجنة ترى أنه يجوز تيسيراً على الناس - إذا ظلت الميزانيات على أساس السنة الشمسية - أن يستدرك زيادة أيامها عن أيام السنة القمرية بأن تحسب نسبة الزكاة ٢٫٥٧٥٪ من المال المراد تزكيته تقريباً.

٦- الدين الاستثماري والزكاة.

إذا كانت الديون واجبة على المزكي للغير فلا يخفى أن الأصل في الديون أنها تسقط مقابلها من الموجودات الزكوية، إلا إن الديون قد لا يستعملها المدين في التجارة كما لو اشترى بيتًا بالتقسيط على بضع سنين، أو استخدم الدَّيْن في تملك آلات لمشروع ضخم تقدر بالملايين، فقد يقرر أحد التجار



Upload by: altawhedmag.com

توسعة عمله فيشتري ببضعة ملايين خط إنتاج جديد يضيفه لخط إنتاج عنده، فهل تؤدي هذه الديون الاستثمارية إلى إسقاط مقابلها من الموجودات الزكوية كذلك؟

إن القول بهذا معناه ضياع أموال طائلة من حصيلة الزكاة على الفقراء، وقد ينتهي إلى القول بأن كثيرًا من تجار العصر لا زكاة عليهم، وقد ناقش المؤتمر الأول للزكاة هذا المسألة، ورأى أن يأخذ بصورة ما يأتي:

«الدين إذا استعمله المستدين في التجارة يسقط مقابله من الموجودات الزكوية، أما إذا استخدم في تملك المستغل من عقار أو آليات أو غير ذلك، فنظرًا إلى أنه على الرأي المعمول به من أن الدين يمنع من الزكاة بقدره من الموجودات الزكوية، وأن ذلك يؤدي إلى إسقاط الزكاة في أموال كثير من الأفراد والشركات والمؤسسات مع ضخامة ما تحصله من أرباح.

لذلك فإن اللجنة تلفت النظر إلى وجوب دراسة هذا الموضوع، وتركيز البحث عنه.

وترى اللجنة مبدئيًا الأخذ في هذا بخصوصه بمذهب من قال من الفقهاء: إنه إذا كان الدين مؤجلا فلا يمنع من وجوب الزكاة».

ثالثا: قرارات بشأن الزكاة

من المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية

أ- أن ما يفرض من الضرائب لمصلحة الدولة لا يغني القيام به عن أداء الزكاة المفروضة.

ب- يكون تقويم نصاب الزكاة في نقود التعامل المعدنية، وأوراق النقد، والأوراق النقدية، وعروض التجارة على أساس قيمتها ذهباً فما بلغت قيمته من أحدها عشرين مثقالاً ذهبياً وجبت فيه الزكاة. وذلك لأن الذهب أقرب إلى الثبات من غيره ويرجع في معرفة قيمة مثقال الذهب بالنسبة إلى النقد الحاضر إلى ما يقرره الخبراء.

ج- الأموال النامية التي لم يرد نص ولا رأي فقهي بإيجاب الزكاة فيها حكمها كالآتي:

١- لا تجب الزكاة في أعيان العمائر الاستغلالية والمصانع والسفن والطائرات وما شابهها، بل تجب الزكاة في صافي غلتها عند توافر النصاب وحولان الحول.

٢- وإذا لم يتحقق فيها نصاب وكان لصاحبها أموال أخرى تضم إليها وتجب الزكاة في المجموع إذا توافر شرطا النصاب وحولان الحول.

٣- مقدار النسبة الواجب إخراجها هو ربع عشر صافي الغلة في نهاية الحول.

٤- في الشركات التي يساهم فيها عدد من الأفراد لا ينظر في تطبيق هذه الأحكام إلى مجموع أرباح الشركات وإنما ينظر إلى ما يخص كل شريك على حدة.

د- تجب الزكاة على المكلف في ماله وتجب أيضاً في مال غير المكلف ويؤديها عنه من ماله مَن له الولاية على هذا المال.

هـ- تعتبر الزكاة أساساً للتكافل الاجتماعي في البلاد الإسلامية كلها وهي مصدر لما تستوجبه الدعوة إلى الإسلام والتعريف بحقائقه وإعانة المجاهدين في سبيل تحرير الأوطان الإسلامية.

و- تترك طريقة جمع الزكاة وصرفها لكل إقليم بما تناسبه.

٦- وبشأن صدقات التطوع بين المؤتمر ما يلي:

(أ) الإسلام يدعو إلى الإنفاق في سبيل الله وينهي عن البخل وقبض اليد عن بذل الخير.

(ب) الإسلام يحذر من السؤال ومن قبول الصدقة إلا في حالات الضرورة.

(ت) الإسلام يدعو إلى البر بغير المسلمين مساواة لهم بإخوانهم المواطنين من المسلمين، ورعاية لكل فرد من الأفراد في المجتمع الإسلامي.



والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com



باب التراجم

إمام الفقهاء: معاذ بن جبل

صلاح نجيب الدق

الحمدُ لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد: فإن معاذ بن جبل رضي الله عنه من فقهاء الإسلام البارزين، وهو أحد أصحاب نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذين قال مدحهم الله تعالى في كتابه العزيز قائلاً: (وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ) (التوبة: ١٠٠)، فأحببت أن أُذكِرَ نفسي وإخواني الكرام بشيء من سيرته العطرة. فأقول وبالله التوفيق:

نسبه: هو: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عَدي الخزرجي الأنصاري.

وأمه: هند بنت سهل من جُهينة.ويُكنى أبا عبد الرحمن. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ص٤٣٧)

إسلام معاذ بن جبل:

أسلم معاذ بن جبل رضي الله عنه وهو ابن ثماني عشرة سنة، وهو أحد السبعين الذين شهدوا بيعة العقبة الثانية من الأنصار.

وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الله بن مسعود. (صفة الصفوة لابن الجوزي ج١ص٤٨٩)(أسد الغابة لابن الأثير ج ٤ص٤٠١)

جهاد معاذ بن جبل:

شهد معاذ بن جبل رضي الله عنه بدراً، وأحداً، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ص٤٣٨)

مناقب معاذ بن جبل رضي الله عنه

منزلته العلمية:

روى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه من الصحابة: عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمر، وأبو قتادة وأنس بن مالك وأبو أمامة الباهلي وأبو ليلة الأنصاري وغيرهم. ومن التابعين: جنادة بن أبي أمية وعبد الرحمن بن غَنْم وأبو إدريس الخَوْلاني وأبو مسْلم الخولاني، وجبير بن نفير، ومالك بن يخامر، وغيرهم. (أسد الغابة لابن الأثير ج ٤ص٤٠٢)

(١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيٌّ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ. (صحيح سنن الترمذي للألباني حديث: ٢٩٨١).

(٢) عن أبي مُسْلم الخَوْلاني قال: دخلت مسجد حمْص (بسوريا) فإذا فيه نحواً من ثلاثين كهلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم، وإذا فيهم شاب أكحل العينين براق الثنايا، لا يتكلم، ساكت فإذا امترى (اختلفوا) القوم في شيء أقبلوا عليه فسألوه. فقلت لجليس لي من هذا؟ فقال: معاذ بن جبل رضي الله عنه. فوقع في نفسي حبه فكنت معهم حتى تفرقوا. (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج١ص٢٣٠).

(٣) عن سهل بن أبي حثمة قال: كان الذين يفتون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين: عمر وعثمان وعلي. وثلاثة من الأنصار: أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت. (أسد الغابة لابن الأثير ج ٤ص: ٤٠٢: ٤٠١).

- من أهل القرآن :

(١) عَنْ مَسْرُوقٍ ذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بن العاص عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ: لَا أَزَالُ أُحِبُّهُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَسَالِمٍ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ. (البخاري حديث ٤٩٩٩، ومسلم حديث٢٤٦٤).

(٢) عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ مِنْ الْأَنْصَارِ: أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَبُو زَيْدٍ.قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسٍ مَنْ أَبُو زَيْدٍ قَالَ أَحَدُ عُمُومَتِي. (صحيح سنن الترمذي للألباني حديث: ٢٩٨٣).

Upload by: altawhedmag.com

- شهادة النبي صلى الله عليه وسلم له: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو بَكْرٍ نِعْمَ الرَّجُلُ عُمَرُ نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ نِعْمَ الرَّجُلُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ نِعْمَ الرَّجُلُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ نِعْمَ الرَّجُلُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ نِعْمَ الرَّجُلُ مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ. (صحيح سنن الترمذي للألباني حديث: ٢٩٨٤)

- كرمه رضي الله عنه:

عن ابن كعب بن مالك قال: كان معاذ بن جبل رضي الله عنه شاباً جميلاً سمحاً من خير شباب قومه، لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه، حتى أدان ديناً أغلق ماله (أصبح مديناً) فكلم معاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلم غرماءه ففعل فلم يضعوا له شيئا(كان غرماء معاذ من اليهود، فلهذا لم يضعوا عنه شيئاً) فلو ترك لأحد الكلام لتُرك لمعاذ لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فلا يبرح حتى باع ماله وقسمه بين غرمائه فقام معاذ لا مال له فلما حج بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ليجبره(ليعوضه عن فقد ماله) (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج١ص: ٢٣٢: ٢٣١).

معاذ بن جبل يعتق عبيده لله تعالى:

عن أبي وائل قال: لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم واستخلفوا أبا بكر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث معاذاً إلى اليمن فاستعمل أبو بكر عمر على الموسم(الحج) فلقي معاذاً بمكة ومعه رقيق فقال هؤلاء أهدوا لي وهؤلاء لأبي بكر فقال عمر إني أرى لك أن تأتي أبا بكر قال فلقيه من الغد فقال يا ابن الخطاب لقد رأيتني البارحة وأنا أنزو(أهبط) إلى النار وأنت آخذ بحجزتي وما أراني إلا مطيعك، قال: فأتى بهم أبا بكر، فقال: هؤلاء أهدوا لي، وهؤلاء لك. قال أبو بكر رضي الله عنه: فإنا قد سلمنا لك هديتك فخرج معاذ إلى الصلاة فإذا هم يصلون خلفه، فقال لمن تصلون هذه الصلاة؟قالوا لله عز و جل.قال: فأنتم لله، فأعتقهم. (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج١ص٢٣٣).

زهد معاذ بن جبل:

عن مالك الدارني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صُرَّة فقال للغلام اذهب بها إلى معاذ وتله (انتظر) في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع فذهب بها إليه فقال يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك فقال: رحمه الله ووصله. تعالي يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا اذهبي إلى بيت فلان بكذا فاطلعت امرأة معاذ فقالت ونحن والله مساكين فأعطنا ولم يبق في الخرقة إلا ديناران فدحا(ألقى) بهما إليها ورجع الغلام إلى عمر فأخبره فسر بذلك. (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج١ص٢٣٧).

ورع معاذ بن جبل:

(١) قال يحيى بن سعيد: كانت تحت معاذ بن جبل (متزوج) امرأتان فإذا كان عند إحداهما لم يشرب في بيت الأخرى الماء. (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج١ص٢٣٤)

(٢) قال يحيى بن سعيد: إن معاذ بن جبل رضي الله عنه كانت له امرأتان، فإذا كان يوم إحداهما لم يتوضأ في بيت الأخرى ثم توفيتا في السقم(طاعون عَمَواس) الذي بالشام، والناس في شغل فدُفنتا في حفرة، فأسهم بينهما أيتهما تُقدَّمُ في القبر. (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج١ص٢٣٤)

اجتهاد معاذ بن جبل في العبادة:

قال ثور بن يزيد: كان معاذ بن جبل رضي الله عنه إذا تهجد من الليل قال: اللهم قد نامت العيون وغارت النجوم، وأنت حي قيوم. اللهم طلبي للجنة بطيء، وهربي من النار ضعيف. اللهم اجعل لي عندك هدى، ترده إلي يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد. (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج١ص٢٣٣).

أقوال السلف في معاذ بن جبل:

قال فروة بن نوفل الأشجعي: قال عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، إن معاذ بن جبل، رضي الله عنه، كان أُمَّةً قانتاً لله حنيفاً. فقيل « إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» [النحل: ١٢٠] فقال ما نَسيتُ، هل تدري ما الأمة، وما القانت؟ فقلت: الله أعلم. فقال: الأمة الذي يعلم الخير، والقانت المطيع لله وللرسول وكان معاذ يُعَلِّمُ الناس الخير، ومطيعا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم. (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج١ص٢٣٠).

قبس من كلام معاذ بن جبل

(١) قال عبد الله بن سلمة قال رجل لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: علمني. قال: وهل أنت مطيعي؟ قال: إني على طاعتك لحريص قال: صم وأفطر، وصل ونم واكتسب، ولا تأثم، ولا تموتن إلا وأنت مسلم، وإياك ودعوة المظلوم. (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج١ص٢٣٣).

(٢) قال معاوية بن قُرَّة قال معاذ بن جبل رضي الله عنه لابنه: يا بني إذا صليت فصَل صلاة مُوَدِّع، لا

Upload by: altawhedmag.com

تظن أنك تعود إليها أبداً، واعلم يا بني أن المؤمن يموت بين حسنتين: حسنة قدَّمها وحسنة أخَّرها. (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج١ص٢٣٤).

(٣) قال أبو إدريس الخَوْلاني قال معاذ رضي الله عنه: إنك تجالس قوماً لا محالة يخوضون في الحديث، فإذا رأيتهم غفلوا فارغب إلى ربك عند ذلك رغبات. (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج١ص٢٣٦: ٢٣٥).

(٤) قال محمد بن سيرين: أتى رجلٌ معاذَ بن جبلرضي الله عنه ومعه أصحابه يُسَلِّمُونَ عليه ويودعونه، فقال: إني موصيك بأمرين إن حفظتهما حُفظت، إنه لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر، فآثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا حتى ينتظمه لك انتظاماً فتزول به معك أينما زلت. (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج١ ص٢٣٤).

(٥) قال الأسود بن هلال: كنا نمشي مع معاذ فقال: اجلسوا بنا نؤمن ساعة. (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج١ص٢٣٥).

(٦) قال رجاء بن حَيْوَة: قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: اُبتليتم بفتنة الضراء فصبرتم، وستبتلون بفتنة السراء، وأخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء، إذا تسورن الذهب، ولبسن رياط (الثياب الرقيقة اللينة) الشام وعصب اليمن، فأتعبن الغني، وكلفن الفقير ما لا يجد. (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج١ص٢٣٧: ٣٢٦).

(٧) قال عبد الله بن سلمة: جاء رجلٌ إلى معاذ رضي الله عنه فجعل يبكي فقال له معاذ: ما يبكيك؟ فقال: والله ما أبكي لقرابة بيني وبينك، ولا لدنيا كنت أصيبها منك، ولكن كنت أصيب منك علماً فأخاف أن يكون قد انقطع، قال: فلا تبك، فإنه من يُرد العلمَ والإيمان يُؤته الله تعالى كما آتى إبراهيم عليه السلام، ولم يكن يومئذ علمٌ ولا إيمان. (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج١ص٢٣٤).

(٨) قال جابر: قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: اعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يُؤجركم الله بعلم حتى تعملوا. (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج١ص٢٣٦).

(٩) قال أبو بحرية قال معاذ رضي الله عنه: ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله من ذِكْر الله. قالوا: يا أبا عبد الرحمن ولا الجهاد في سبيلِ الله؟ قال: ولا، إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع، لأن الله تعالى يقول في كتابه: (ولذكر الله أكبر). (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج١ص٢٣٥).

صبر معاذ بن جبل على البلاء:

روى ابنُ سعدٍ عن داود بن الحصين قال: لما وقع الطاعون عامَ عَمَوَاس قال أصحاب معاذ: هذا رجز(غضب) قد وقع فقال معاذ: أتجعلون رحمة رحم الله بها عباده كعذاب عذب الله به قوما سخط عليهم إنما هي رحمة خصكم الله بها وشهادة خصكم الله بها اللهم أدخل على معاذ وأهل بيته من هذه الرحمة من استطاع منكم أن يموت فليمت من قبل فتن ستكون مِن قبل أن يكفر المرء بعد إسلامه أو يقتل نفساً بغير حلِّها أو يظاهر أهل البغي أو يقول الرجل ما أدري على ما أنا، إن مت أو عشت، أعلى حق أو على باطل. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ص٤٤٢).

وفاة معاذ بن جبل:

(١) قال معاذ بن جبل رضي الله عنه، لما حضره الموت: انظروا أصبحنا فأتي فقيل لم تصبح فقال انظروا أصبحنا فأتي فقيل له لم تصبح حتى أتي في بعض ذلك فقيل قد أصبحت، قال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار مرحبا بالموت مرحباً زائر مُغِبّ، حبيب جاء على فاقة، اللهم إني قد كنت أخافك فأنا اليوم أرجوك. اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار ولكن لظمأ الهواجر (الصيام في شدة الحر) ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلَق الذِّكْر. (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج١ص٢٣٩).

(٢) قال الحسن البصري: لما حضر معاذاً الموتُ جعل يبكي، فقيل له: أتبكي وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت وأنت! فقال: ما أبكي جزعاً من الموت إن حَلَّ بي، ولا دنيا تركتها بعدي، ولكن إنما هي القبضتان، فلا أدري من أي القبضتين أنا. (أسد الغابة لابن الأثير ج ٤ص: ٤٠٣: ٤٠٢).

مات معاذ بن جبل رضي الله عنه في طاعون عَمَوَاس (مكان قريب من بيت المقدس بفلسطين) سنة ثماني عشرة هجرية في خلافة عمر بن الخطاب، وكان عمره ثمان وثلاثين سنة. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ص٤٤٣)

رَحِمَ اللهُ تعالى معاذَ بن جبل، رحمةً واسعةً، وجزاه عن الإسلام خير الجزاء، ونسأل الله تعالى أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى من الجنة، وآخر دعوانا أن الحمدُ لله رب العالمين. وصلى اللهُ وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، والتابعينَ لهم بإحسان إلى يومِ الدين.

Upload by: altawhedmag.com

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

دعاء غير الله شرك

قال تعالى: «قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» [غافر: ٦٦].

من فضائل الصحابة بشهادات آل البيت

عن سالم بن أبي حفصة قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي، وجعفر بن محمد رضي الله عنهم، عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؟ فقالا: يا سالم، تولهما، وابرأ من عدوهما، فإنهما كانا إمامَيْ هُدى. [كتاب السنة، لعبد الله بن أحمد ١٣٠٣].

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» [صحيح البخاري ٦٣٤٦].

حكم ومواعظ

قال حبيب الجلاب: سألت ابن المبارك: ما خير ما أعطي الإنسان؟ قال: غزيرة عقل. قلت: فإن لم يكن؟ قال: حُسن أدب. قلت: فإن لم يكن؟ قال: أخ شفيق يستشيره. قلت: فإن لم يكن؟ قال: صمت طويل. قلت: فإن لم يكن؟ قال: موت عاجل. [سير أعلام النبلاء (٨/٣٩٧)].

من سير الخلفاء

عن يزيد بن محمد المهلبي أن المتوكل الخليفة العباسي (الذي قضى على فتنة خلق القرآن ونشر السنة) قال: إن الخلفاء كانت تتصعب على الناس ليطيعوهم، وأنا ألين لهم ليحبوني ويطيعوني. [تاريخ بغداد ٧/ ١٦٦].

من غريب الحديث

(صلب) فيه «نهى عن الصلاة في الثوب المصلَّب» هو الذي فيه نقش أمثال الصلبان. ومنه الحديث «كان إذا رأى التصليب في موضع قضبه». وحديث عائشة رضي الله عنها «فناولتها عطافاً فرأت فيه تصليباً فقالت: نحّيه عني» [غريب الحديث لابن الأثير ٣/ ٨٢].

Upload by: altawhedmag.com

من دلائل النبوة

الرسول يخبر بالفتوحات قبل وقوعها

عن نافع بن عتبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله» [صحيح مسلم ٢٩٠٠].

تحذير لبني آدم: كما تدين تدان

عن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « (كُل ذنُوب يُؤخرُ الله منهَا مَا شَاء إلى يَوم القِيامة إلا البَغي وعُقوقَ الوالدين أو قَطيعةَ الرَّحِم يُعجِلُ لِصاحِبها في الدُّنيا قَبل الموت)

[صحيح الأدب المفرد للألباني ٥٩١].

إعداد: علاء خضر

من أقوال السلف

عن أبي سليمان الداراني قال: ليس لمن ألهم شيئًا من الخير أن يعمل به حتى يسمعه من الأثر، فإذا سمعه من الأثر عمل به وحمد الله حيث وافق ما في قلبه. [تاريخ بغداد ١٠/ ٢٤٨].

ميزان السلف في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم

قيل لمحمد بن سيرين: إن قومًا يقصدون لبس الصوف، ويقولون: إن المسيح كان يلبسه. فقال: هدي نبينا أحب إلينا من هدي غيره. [منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٤/ ٤٣].

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

«من زهد في الدنيا علمه الله تعالى بلا تعلم، وهداه الله بلا هداية، وجعله بصيرًا، وكشف عنه العمى»، هذا حديث موضوع أخرجه أبو نعيم في «الحلية» عن علي بن حفص العبسي. ومن آثاره السيئة: ترك الأخذ بأسباب التعلم والتلقي من أهل العلم. [السلسلة الضعيفة للألباني ١٠/١١٤]

موقف الصحابة من الفتن

أُجبر عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي اللهِ عنهما - على الخروج في صفِّين، فحضر ولم يُقاتِل، وكان يقول: ما لي ولصفين، ما لي ولقتال المسلمين! لوددت أني متُّ قبله بعشر سنين، أمَا والله ما ضربتُ بسيف، ولا طعنتُ برمح، ولا رميتُ بسهم. [سير أعلام النبلاء ٣/ ٩٢].

Upload by: altawhedmag.com

دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص

تأثير قرائن السياق على الأحكام الفقهية

الحلقة (٥٧)

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

تنقسم الأحكام الفقهية من حيث الإجمال: إلى قسمين كبيرين:

القسم الأول: مجال العبادات

القسم الثاني: مجال المعاملات.

وقرائن السياق (ومنها المقاصد) تنطبق على القسمين بجميع مجالاتهما المختلفة، لكن تطبيق هذه القرائن يتفاوت من حيث الوضوح والخفاء، وطرق الإثبات وغير ذلك، كما سنرى إن شاء الله.

كيف نطبق قرائن السياق في مجال العبادات:

أولاً: العبادات: كما تعلم فإن الأصل في العبادات التوقيف، فلا عبادة إلا بنص، والعبادات هي جملة الأقوال والأعمال التي يقوم بها المكلف بكيفية مخصوصة على سبيل التقرب إلى الله عز وجل، والامتثال والانقياد والخضوع إليه. وهي محددة ومبينة إجمالاً وتفصيلاً، في القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم بأقسامها المختلفة، قولية وفعلية وتقريرية... والعبادات ثابتة وباقية ودائمة إلى يوم القيامة، لا مجال فيها للتغيير أو التبديل، ولا يجوز فيها الزيادة أو النقصان، لذلك حذّر المشرع من البدعة فيها، كما في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: (... وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة) (صحيح سنن أبي داود والترمذي وغيرهما).

وفي حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله احتجر التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته) (رواه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ح ٢٠٥٤، ٢٠٥٥ وهو في صحيح الجامع للألباني). ويقول النبي صلى الله عليه وسلم، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: (إنه ليس شيء يقربكم إلى الجنة إلا قد أمرتكم به، وليس شيء يقربكم إلى النار إلا قد نهيتكم عنه) (انظر السلسلة الصحيحة ح ٢٨٦٦).

وقد أدرك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هذه المعاني، وكانوا ينهون أشد النهي عن الابتداع في الدين، ومن ذلك قول حذيفة رضي الله عنه: كل عبادة لم يتعبدها أصحاب رسول الله فلا تتعبدوها. وأوضح منه في إنكار الابتداع في الدين قول ابن عمر رضي الله عنهما: كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة. (انظر موسوعة الألباني في العقيدة ٩٩/٢).

Upload by: altawhedmag.com

يقول الإمام البربهاري (من أصحاب الإمام أحمد ت ٣٢٩هـ): واعلم أن الناس لم يبتدعوا بدعة قط حتى تركوا من السنة مثلها، فاحذر المحدثات من الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها في النار.

واحذر صغار المحدثات من الأمور؛ فإن صغير البدع يعود حتى يصير كبيرًا، وكذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأمة، كان أولها صغيرًا يشبه الحق، فاغتر بذلك من دخل فيها، ثم لم يستطع الخروج منها، فعظمت فصارت دينًا يدان به، فخالف الصراط المستقيم...

ثم قال: فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة، فلا تعجلن ولا تدخلن في شيء منه حتى تسأل وتنظر، هل تكلم به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحد من العلماء، فإن وجدت فيه أثرًا فتمسك به، ولا تجاوزه لشيء، ولا تختر عليه شيئًا فتسقط في النار. (شرح السنة للبربهاري ص٣٨، ٣٧).

فالمكلف ليس عليه إلا أن يلتزم الأمر الشرعي، فيعبد الله تعالى بما شرع، وليس باجتهاده، والقاعدة الشرعية تقول: (لا يُعبد الشارع إلا بما شرع) يقول الشاطبي: إن مقصود العبادات الخضوع لله، والتوجه إليه والتذلل بين يديه، والانقياد تحت حكمه، وعمارة القلب بذكره، حتى يكون العبد بقلبه وجوارحه حاضرًا مع الله، ومراقبًا له غير غافل عنه، وأن يكون ساعيًا في مرضاته وما يقرّب إليه على حسب طاقته. (الموافقات ٢/٣٨٣).

وليس معنى أن العبادة توقيفية أن قرائن السياق لا تستخدم فيها، بل إن قرائن السياق تساعد على بقائها على الصورة التي شرعت عليها، وبالتالي تعمل على ضبطها وعلى رد الكثير من البدع، وخاصة البدع الإضافية.

فما هي البدع الإضافية؟

تنقسم البدع إلى قسمين: حقيقية وإضافية أما البدعة الحقيقية: فهي التي لم يدل عليها دليل شرعي، لا من كتاب ولا من سنة ولا إجماع ولا قياس ولا استدلال معتبر عند أهل العلم، لا في الجملة ولا في التفصيل، فهي شيء مخترع على غير مثال سابق، وليس عند مبتدعها دليل، وإن استدل فإن استدلاله قائم على شبهات غير صحيحة.

أما البدعة الإضافية: فلها وجهان: وجه شرعي، ووجه غير شرعي؛ فالعامل بها تدخل عليه من الوجه الشرعي ويلبس عليه الأمر من هذا الوجه، فهي لها دليل من جهة الشرع، لكن وجه الابتداع يأتي من جهة الكيفية أو التفاصيل أو غير ذلك. (انظر الاعتصام للشاطبي ١/٣٦٧- ٣٦٨).

فأصل العمل دل عليه الشرع إلا أنه زيد عليه إما باعتبار الوصف، فغيّر في الأوصاف، أو في الزمان أو في المكان أو في الأذكار... فهي من هذه الجهة بدعة؛ لأنها لما شُرعت كانت خالية من هذه الأوصاف والهيئات التي أُضيفت إليها.

ثانيا: أمثلة لاستخدام قرائن السياق في العبادات:

المثال الأول: الذكر، أخرج الدارمي بسنده عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه ذهب إلى عبدالله بن مسعود في بيته وانتظره حتى خرج، فقال له: يا أبا عبد الرحمن، إني رأيت في المسجد آنفًا أمرًا أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيرًا: قال: فما هو؟ قال إن عشت فستراه، قال رأيت في المسجد قومًا حِلَقًا جلوسًا، ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصًى، فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول سبحوا مائة، فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئًا؛ انتظار رأيك. قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، أو ضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟ ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحِلَق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟

قالوا يا أبا عبد الرحمن، حصًى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح، قال فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، وَيْحَكُم يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم!! ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابة نبيكم متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تُكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحو باب ضلالة؟ قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لم يُصِبْهُ... الحديث (وهو في السلسلة الصحيحة ح ٢٠٠٥).

فهؤلاء الذين أنكر عليهم ابن مسعود رضي الله عنه، اعتمدوا على أصل شرعي وهو ذكر الله تعالى، الذي أمر الله به في كتابه، كقوله تعالى: (واذكروا الله ذكرا كثيرًا وسبحوه بكرة وأصيلا)، وقوله: (فاذكروني أذكركم)... إلى غير ذلك من الآيات. وكذلك أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الكثيرة في فضل الذكر والحث عليه، كحديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مثل الذي يذكر ربه، والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت... (متفق عليه).

فلماذا أنكر عليهم ابن مسعود إذن؟ أنكر عليهم رضي الله عنه الذكر بعدد وبكيفية لم تثبت عن النبي صلى

Upload by: altawhedmag.com

الله عليه وسلم أما انكار العدد فقد صرح به ابن مسعود رضي الله عنه وأما الكيفية والتي تمثلت في فعل الشيخ الذي يجلس في منتصف الحلقة ويأمرهم بالذكر بالكيفية المذكورة فياتي إنكارنا لها من فعل ابن مسعود رضي الله عنه عندما أنكر عليهم إحصاء التسبيح على اعتبار أن هذا ليس من هديه صلى الله عليه وسلم، وبالتالي اعتمد على قرينة من قرائن السياق، وهي مخالفة السُّنة، فيلزم من ذلك أيضًا إنكار الكيفية التي لم تثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم (الاجتماع على الذكر بالكيفية سالفة الذكر)، ويؤكد هذا الاستنتاج ما ورد في هيئة تسبيح النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة فلم يثبت عنهم هذا الاجتماع.

وفيما يخص الكيفية أيضًا التسبيح بالحصى، فإن الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم التسبيح بيده كما في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح بيمينه (صحيح سنن أبي داود وغيره)، وأمر النساء بالتسبيح بالأنامل، كما في حديث يسيرة بنت ياسر رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر النساء: اعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات مستنطقات. (صحيح سنن الترمذي والعقد: هو العد، و مستنطقات: أي مسئولات يشهدن بذلك يوم القيامة).

قال الشيخ الألباني: ولم يصح في العد بالحصى شيء. [انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة ٤٨/٣]، وأما هيئة الاجتماع على الذكر فإن ذلك لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم، يقول الشيخ علي محفوظ: ومن البدع المكروهة: ختم الصلاة على الهيئة المعروفة من رفع الصوت به، وفي المسجد والاجتماع له والمواظبة عليه، حتى اعتقد العامة أنه من تمام الصلاة، وأنه سُنة لا بد منها، مع أنه مستحب انفرادًا سرًا، فهذه الهيئة محدَثة لم تُعهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة (الإبداع في مضار الابتداع صـ٢٨٣).

وقال ابن القيم: وأما الدعاء بعد السلام من الصلاة مستقبل القبلة، أو المأمومين، فلم يكن ذلك من هديه صلى الله عليه وسلم أصلاً، ولا رُوي بإسناد صحيح ولا حسن. (زاد المعاد ٢٤٩/١).

وقد استخدم ابن مسعود رضي الله عنه قرينة من قرائن السياق، ومقصداً من مقاصده، وهي حفظ جناب الدين كما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فكل عبادة لم يتعبدها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليست مشروعة، وإن استحسنها الناس، فهذه الهيئات والكيفيات لم تثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وهم الغاية في الاتباع، وهم أحرص على الخير منا وأفقه وأعلم، فما اخترع أحدهم ذكرًا أو صلاة أو دعاء أو غير ذلك بعدد ولا كيفية لم تثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال حذيفة رضي الله عنه: كل عبادة لم يتعبدها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلا تعبدوها، فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً. (انظر السلسلة الضعيفة ٥٥١/١).

وروى محمد بن وضاح أن الناس اجتمعوا بعد العصر من يوم عرفة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، فخرج نافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما فقال: يا أيها الناس إن الذي أنتم فيه بدعة، وليست سنة، أدركت الناس لا يصنعون هذا. (انظر الحوادث والبدع للطرطوشي صـ١٢٦).

يذكر الشاطبي ما يدخل في حد البدعة، فيقول: ومنها: التزام الكيفيات والهيئات المعينة، كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد، واتخاذ يوم ولادة النبي صلى الله عليه وسلم عيداً، وما أشبه ذلك، ومنها التزام العبادات المعينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة، كالتزام صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته. (الاعتصام ٥٣/١).

فالبدع الصغرى تؤدي إلى البدع الكبرى، فقد ورد في حديث ابن مسعود السابق قول عمر ابن سلمة فرأينا عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج

المثال الثاني: الصيام: فالله تعالى أمر بالصيام في زمان محدد -صيام الفريضة- قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، فإذا صام المكلف عمره كله بلا انقطاع، فهو مبتدع من ناحية، ومن ناحية أخرى لم يحقق المقصود من فرض الصيام، لأنه اعتاد عليه حتى صار عنده يسيراً سهلاً كالإفطار بل هو أيسر، وهذا الاعتياد والتكرار لا يحقق الفائدة المرجوة من الصيام، وهي تحقيق التقوى.

وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما إلى هذا المعنى، لما أراد أن يصوم الزمان بكامله. فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: أُخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم: أني أقول: والله لأصومن النهار، ولأقومن الليل ما عشتُ، فسألني فقلت له: قد قلته بأبي أنت وأمي، قال: فإنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر، وقم ونم، وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر. قلت: إني أطيق

Upload by: altawhedmag.com

أفضل من ذلك، قال: فصم يوماً وأفطر يومين: قلت: إني أطيق أفضل من ذلك، قال: فصم يوما وأفطر يوما، فذلك صيام داود عليه السلام، وهو أفضل الصيام.

فقلت: إني أطيق أفضل من ذلك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا أفضل من ذلك.(متفق عليه).

وفي رواية مسلم: قال عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما-: لأن أكون قبلت الثلاثة أيام التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحب إلي من أهلي ومالي.

فمع أن الصيام عبادة توقيفية، ولا مجال للاجتهاد فيها، إلا أنه استخدمت قرينة من قرائن السياق (المقصد) في ضبط كيفية العبادة وتوجيه القائم بها. فالنبي صلى الله عليه وسلم رد على عبد الله بن عمرو . رضي الله عنه . اجتهاده في صيامه المستمر بلا انقطاع، بقرينة من قرائن السياق، وهي الاستطاعة وربما المداومة ويؤكد هذا حديث نبينا صلى الله عليه وسلم (أحب الأعمال إلى الله أدومه وإن قل) [صحيح مسلم ٧٨٢].

المثال الثالث: الغلو:

وهو مجاوزة الحد، فلقد نهى الله تعالى عن الغلو فقال تعالى: «يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ» (النساء: ١٧١)، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة العقبة، وهو على ناقته، القط لي حصى، فلقطت له سبع حصيات، هن حصى الخذف (قدر حجم البندقة)، فجعل ينفضهن في كفه ويقول: (أمثال هؤلاء فارموا، ثم قال يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين. (صحيح سنن ابن ماجه وغيره).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه)... الحديث (صحيح البخاري)، وحذر صلى الله عليه وسلم من الغلو والإفراط في الدين، كما بحديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ألا هلك المتنطعون، ألا هلك المتنطعون، ألا هلك المتنطعون (صحيح مسلم).

وفي حديث أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؛ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني. (متفق عليه).

وبالتامل في الحديث نقف على العديد من المقاصد كقرينة من قرائن السياق التي نستطيع تطبيقها على كل من استحسن بعقله في العبادات، التي كما ذكرنا، مدارها على التوقيف التام، فمن هذه القرائن:

١- القرينة الأولى والظاهرة من عموم الحديث هي النهي عن الغلو.

٢- النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله، كما قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ» (الحجرات:١)، فالرهط تعجل في أمر كان ينبغي الرجوع فيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

٣- إعمال العقل في العبادات، والعبادات تؤخذ بالتلقي قبولا وأداء).

٤- وسطية هذه الأمة، قال الله تعالى: « وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ » [البقرة: ١٤٣]. ووسط كل شيء: هو أعلاه وأفضله، ليس كما يظن البعض منا، أن الوسطية هي التفلت من التكاليف بدعوى أن الدين يسر، فهذه ليست وسطية وإنما هي تفريط وتقصير، قال الله تعالى: «قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ» (القلم: ٢٨) أي: خيرهم وأعدلهم وأفضلهم.

فالتوسط والاعتدال هو المناسب لفطرة الإنسان، الضعيف المتقلب بين أحوال مختلفة من قوة وضعف وصحة ومرض، وإقبال وإدبار..

٥- أن النبي صلى الله عليه وسلم: هو الأسوة والقدوة: « لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا » [الأحزاب: ٢١]؛ فسنة النبي صلى الله عليه وسلم هو سقف العبودية والطاعات والقربات، فلا مجال لتجاوز سنته إلا بالابتداع أو على الأقل فعل خلاف الأولى.

٦- أن هناك تلازمًا بين تقوى الله وبين خشيته، وصدق ابن مسعود عندما قال: ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العلم الخشية (إتحاف المهرة لابن حجر ح ١٣١٣٤).

وكل قرينة من هذه القرائن استخدمها العلماء كقرائن مقيّدة وضابطة للعمل بالنص وفهمه، والله أعلم، وللحديث بقية بإذن الله.

Upload by: altawhedmag.com

من أنواع التربية المطلوبة

التربية على الآداب النبوية والسنن المصطفوية

الحلقة الثالثة

إعداد/ د. أحمد فريد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن مما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم الذي يهدف إلى إقامة المجتمع المسلم، وإعادة الخلافة على منهاج النبوة، التربية على « الآداب النبوية والسنن المصطفوية»، وهذه الآداب كثيرة، منها ما ذكرناه في العددين السابقين، ونكمل بعض هذه الآداب، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

١٢ - آداب السلام:

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾(النور:٦١)، فإفشاء السلام سببٌ جالب للمحبة والألفة بين المسلمين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم شيء إذا فعلتموه تحاببتم؛ أفشوا السلام بينكم » [رواه مسلم رقم (٥٤)].

كما أن رد السلام حق من حقوق المسلم على أخيه؛ لما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس» [رواه البخاري (١٢٤٠)، ومسلم (٢١٦٢)].

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ (النساء:٨٦).

- ومن آداب السلام أن يبدأ المسلم أخاه بالسلام، فعن أبي أمامة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام» [رواه أبو داود (٥١٩٧) واللفظ له، وصححه الألباني في « صحيح سنن أبي داود» رقم (٤٣٢٨)].

- ومن آداب السلام أن يكون عند اللقاء وعند الفراق؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فإن بدا له أن يجلس فليجلس ثم إذا قام فليسلم؛ فليست الأولى بأحق من الآخرة « [رواه أبو داود (٥٢٠٨)، وحسنه الألباني في « المشكاة» (٤٦٦٠)].

- ومن ذلك السلام على الصبيان الصغار؛ فعن أنس رضي الله عنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله «. [رواه البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨)].

- ومن ذلك تكرير السلام إذا حجز حاجز بين المسلم وأخيه؛ لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار

Upload by: altawhedmag.com

أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه » [رواه أبو داود (٥٢٠٠)، وصححه الألباني في « الصحيحة « (١٨٦)].

– ومن ذلك أن يبلغ سلام مَن طلب منه تبلغيه؛ فإن ذلك أمانة، عن عائشة رضي الله عنه قالت: قال رسول الله: « يا عائشة، هذا جبريل يقرأ عليك السلام « فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته». [رواه البخاري (٣٢١٧)، ومسلم (٢٤٤٧)].

– ومن ذلك ألا يبدأ الكافر بالسلام لعزة الإسلام. قال النبي صلى الله عليه وسلم: « لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام « [رواه مسلم (٢١٦٧)]. وإذا سلم عليه الكافر ضيق عليه بقوله: « وعليكم».

– ومن ذلك ألا يستعمل في التحية غير السلام، وأن يترك تحية الكفار.

– ومن ذلك أن يسلم الماشي على القاعدة، والراكب على الماشي، والقليل على الكثير، والصغير على الكبير؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: « يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد والقليل على الكثير « [رواه البخاري (٦٢٣٢، ٦٢٣٤)، ومسلم (٢١٦٠)].

١٣- آداب السواك:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: « السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب « [رواه النسائي (٥)، وأحمد (٧، ٦٣، ٢٣٦٨٣)، والدارمي (٦٨٤)، وصححه الألباني في « الإرواء» (٦٦)].

والسواك يعنى دَلْك الأسنان وتنظيفها باستعمال عود من شجر الأراك، أو ما يقوم مقامه من الأشجار النافعة، كأصول الجوز ونحوها، ولا ينبغي أن يؤخذ من شجرة مجهولة فربما كان سُمًّا.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتسوك في كل أحيانه، ويتأكد السواك عند تغير رائحة الفم، وعند الاستيقاظ من النوم، وعند القيام إلى الصلاة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: « لولا أن أشق على أمتي، لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة « [رواه البخاري (٧٢٤٠)، ومسلم (٢٥٢)].

وكذا عند قراءة القرآن، تطييباً للفم، وتعظيماً للقرآن، وعند إتيان الجمعة تجملاً لما رواه أحمد بسند صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « حق على كل مسلم الغسل والطيب والسواك يوم الجمعة « [رواه أحمد (١٥٩٦٢، ٢٢٥٦٧)، وصححه الألباني في « الصحيحة « (١٧٩٦)].

وعند دخول البيت فعن عائشة رضي الله عنها: « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك « [رواه مسلم (٢٥٣)].

قال بعض العلماء: « لما في ذلك من تهيؤ لمقابلة الأهل، والحديث معهم، ولأن السواك مبارك، يزيل رائحة الفم التي ربما تغيرت من كثرة الحديث ، فإن رائحة الفم تتغير بكثرة النوم، أو كثرة السكوت أو كثرة الكلام، فاستُحِبّ أن يتعاهد المسلم فمه بهذا السلوك الجميل الذي ثبت عن معلم الخير صلى الله عليه وسلم «. [الآداب النبوية التربوية (ص: ٧٦)].

١٤- آداب العطاس والتثاؤب:

فمن آداب العطاس أن يحمد العاطس ربه عز وجل، وأن يدعو له إخوانه المسلمون بالرحمة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إذا عطس أحدكم فيقل: الحمد لله وليقل له إخوة أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له: يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم» [رواه البخاري ٦٢٢٤].

يقول الأستاذ صالح بن على أبو عراد: « في ذلك توجيه نبوي يتمثل في أنه إذا عطس المسلم فإن عليه أن يحمد الله سبحانه على ما يحصل له من نعمة ومنفعة بتلك العطسة التي أخرجت الأبخرة المحتقنة في أنفه وخياشيمه، ولذلك شرع المربّي الكبير والمؤدب العظيم صلى الله عليه وسلم حَمْدَ الله على هذه النعمة «.

لأن حمد المنعم مظهر من مظاهر كرم الخلاق، وحب الحق، والاعتراف بالفضل ومقابلة الجميل بالثناء عليه؛ ثم إنه ورد في الحديث أن الله سبحانه يحب العطاس؛ وذلك لما فيه من إيقاظ للهمم، وتنشيط للجسم، ولما فيه من تذكير للإنسان بنعمة من نعم الله ليحمده عليها، ويذكره عندها، ثم يأتي بعد ذلك دور من سمعه ليشمته: أي يقول له: « يرحمك الله «.

وتشميت العاطس أدب تربوي نبوي اجتماعي، يَنُمّ عن خُلق كريم وذوق رفيع لمجالس المسلمين، فالمسلم لا يتوانى عن تصيد أدنى مناسبة ليدعو لأخيه المسلم دعوة خيرة كريمة « [الآداب النبوية التربوية (ص: ٥٨)].

– ومن آداب العطاس: أن يحرم المسلم من التشميت إذا لم يحمد الله عز وجل لما روه أبو موسى رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه، وإذا لم يحمد الله فلا تشمتوه «. [رواه مسلم (٢٩٩٢)].

– ومن الآداب وضع اليد أو طرف الثوب على الفم عند العطاس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه – أي فمه–، وخفض صوته، أو غضّ به صوته « [رواه أبو داود (٥٠٢٩)، وصححه الألباني في « صحيح الجامع « (٤٧٥٥)].

– ومن هذه الآداب التشميت إلى ثلاث مرات، فإذا

Upload by: altawhedmag.com

عطس الرابعة دعا له بالشفاء، فعن أبي هريرة مرفوعاً: « شمِّت أخاك ثلاثاً، فما زاد فهو زكام « [رواه أبو داود (٥٠٣٤) وحسنه الألباني].

ويَكره أكثرُ أهل العلم تشميت المرأة الأجنبية الشابة، ولا يكره ذلك للعجوز؛ لأنه ليس هناك ريبة أو شهوة في الغالب. [انظر الآداب الشرعية لابن مفلح ٣٢٦/٢].

أما التثاؤب:

فمن آدابه أن يرد المسلم التثاؤب ما استطاع؛ لأنه اتباع للشيطان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «وأما التثاؤب: فإنما هو من الشيطان، فإذا تثاوب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان « [رواه البخاري (٦٢٢٦)، ومسلم (٢٩٩٤)].

ومن ذلك أنه إن لم يستطع رده وضع يده أو ثوبه على فيه؛ لما رواه مسلم عن أبي سعد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله: « إذا تثاؤب أحدكم فليضع يده على فيه، فإن الشيطان يدخل مع التثاؤب « [رواه مسلم (٢٩٩٥)].

- ومن ذلك ألا يرفع صوته بالتثاؤب ما استطاع؛ لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « التثاؤب من الشيطان؛ فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع؛ فإن أحدكم إذا قال: ها؛ ضحك الشيطان « [رواه البخاري (٦٢٢٣)، ومسلم (٢٩٩٤)].

١٥- آداب الاستئذان:

قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ) (النور: ٢٧)، وقال تعالى: (وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ) (النور: ٥٩).

- فمن آداب الاستئذان أن يبدأ بالسلام: عن كلدة بن الحنبل رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه ولم أسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ارجع، فقل: السلام عليكم أأدخل؟» [رواه الترمذي (٢٧١٠)، وصححه الألباني في « الصحيحة» (٨١٨)].

ومن ذلك أن يُفصح عن اسمه إذا سُئل، ولا يقول: أنا. لما صح عن جابر بن عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دَيْنٍ كَانَ عَلَى أَبِي فَدَقَقْتُ الْبَابَ، فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ فَقُلْتُ: أَنَا. فَقَالَ: أَنَا، أَنَا!! كَأَنَّهُ كَرِهَهَا. [رواه البخاري ٦٢٥٠].

- ومن ذلك أن يستأذن ثلاثاً، فإن أذن له وإلا رجع لقوله صلى الله عليه وسلم: « الاستئذان ثلاثاً، فإن أذن لك، وإلا فارجع « [رواه البخاري (٦٢٤٥)، ومسلم (٢١٥٣)].

وكذا لو قيل له: ارجع يرجع سليم القلب، مسروراً بقوله الله عز وجل: (وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ) (النور:٢٨).

- ومن ذلك ألا يقف في مواجهة الباب، لئلا تقع عينه على عورة من عورات البيت.

- ومن ذلك أن يتخير الوقت، فلا يهجم على أخيه في ساعة متأخرة من الليل، ولا في وقت راحته، أو طعامه، وألا يدق الباب دقاً عنيفاً، فقد كان الصحابة رضي الله عنه يدقون أبواب النبي صلى الله عليه وسلم بالأظافير (رواه البخاري في الأدب المفرد (١٠٨٠) وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٩٦)). [بتصرف من «كيف نربى أولادنا إسلامياً « لمحيي الدين عبد الحميد (ص: ١٩٨) ط. مؤسسة بدارن].

١٦- آداب المجلس:

قال الأستاذ محيي الدين عبد الحميد: « للمجالس آداب يجب أن يعلمها الآباء أبناءهم ويتابعوهم عند تنفيذها.

- الجلوس حيث ينتهي به المجلس؛ فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: « كنا إذا أتينا النبي صلى الله عليه وسلم جلس أحدنا حيث ينتهي» [رواه أبو داود (٤٨٢٧) وصححه الألباني].

- عدم الجلوس بين اثنين إلا بإذنهما؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: « لا يحل لرجل أن يفرّق بين اثنين إلا بإذنهما» [رواه أبو داود (٤٨٤٥)، وصححه الألباني].

وفي رواية أبي داود: « لا يجلس بين رجلين إلا بإذنهما» [رواه أبو داود (٤٨٤٤)، وحسنه الألباني].

- لا يجلس في سوط القوم بل يجلس محاذياً للناس؛ فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: لعن من جلس وسط الحلقة « [رواه أبو داود (٤٨٢٦)، والترمذي (٢٧٥٣) وقال: « هذا حديث حسن صحيح « وضعفه الألباني].

- لا يتناجى مع آخر إذا كان الحاضر ثلاثة نفر؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: « إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث» [رواه البخاري (٦٢٨٨)، ومسلم (٢١٨٣)].

وفي رواية: « لا يتناجى اثنان دون الآخر حتى يختلطوا بالناس، من أجل أن ذلك يحزنه « [رواه البخاري في « الأدب المفرد « (١١٧١) وصححه الألباني في « الصحيحة» (١٤٠٢)].

- إذا خرج من المجلس ثم رجع إليه فهو أحق به؛ لما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول

Upload by: altawhedmag.com

الله صلى الله عليه وسلم قال: « إذا قام الرجل من مجلس ثم رجع إليه؛ فهو أحق به » [رواه مسلم (٢١٧٩)].

- الاستئذان قبل الانصراف.

- أن يردد دعاء كفارة المجلس عند القيام؛ لما رواه الحاكم وأبو داود بسند حسن عن أبي برزة رضي الله عنه قال: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا أراد أن يقوم من المجلس: « سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك » فقال رجل: يا رسول الله، إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى؟ قال: « كفارة لما يكون في المجلس» (رواه أبو داود (٤٨٥٩) وصححه الألباني) [باختصار من « كيف نربي أولادنا إسلاميًا» (ص: ١٩٩-٢٠٠)].

١٧- آداب السفر:

قال احمد بن قدامة المقدسي: « السفر وسيلة إلى الخلاص من مهروب عنه، أو الوصول إلى مرغوب إليه ».

والسفر سفران: سفر بظاهر البدن عن الوطن، وسفر بسير القلب من أسفل سافلين إلى ملكوت السماوات، وهذا أشرف السفرين، فإن الواقف على الحالة التي نشأ عليها عقب الولادة، الجامد على ما تلقفه بالتقليد من الآباء لازم درجة القصور، قانع برتبة النقص، ومستبدل بمتسع عرضه السماوات والأرض ظلمة السجن، وضيق الحبس.

ولم أر في عيوب الناس شيئا
كنقص القادرين على التمام

انتهى [مختصر منهاج القاصدين (ص: ١١٩) ط. دار الإمام].

وللسفر آداب معروفة:

فمن ذلك أن يستحضر العبد نية صالحة في سفره كطلب العلم، أو الحج، أو العمرة، أو كفاية نفسه ومن يعولهم، وصيانتهم عن ذل السؤال.

- ومن ذلك ألا يخاطر في سفر يضر بدينه، كمن يسافر إلى بلاد الإباحية والفجور، والتبرج والسفور طلباً للرزق، بل يسافر إلى بلاد المسلمين، وإلى أرض هي أقل فتنة حتى يسلم له دينه.

- ومن ذلك أن يرد المظالم، ويقضي الديون، ويعد النفقة لمن تلزمه نفقته.

- ومن ذلك أن يستخبر الله عز وجل قبل سفره.

- ومن ذلك أن يختار صحبة طيبة، ولا يسافر وحده، فالمسافر شيطان، والمسافران شيطانان، والثلاثة ركب. [رواه أبو داود ٢٦٠٩ وحسنه الألباني].

- ومن ذلك ألا يهمل أذكار وأدعية السفر.

١٨- آداب الكسب والمعاش:

قال العلامة جمال الدين القاسمي في فضل الكسب والحث عليه: « أما من الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (النبأ: ١١)، فذكره في معرض الامتنان، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (الأعراف: ١٠)، فجعلها ربك نعمة وطلب الشكر عليها.

وقال تعالى: ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ (الجمعة: ١٠).

وأما الأخبار فمنها قوله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده؛ لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره، خير له من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله فيسأله؛ أعطاه، أو منعه» [رواه البخاري (١٤٧٠)، ومسلم (١٠٤٢)].

وقال عمر رضي الله عنه: « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقني، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة».

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: « إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً، لا في أمر دنياه ولا في آخرته».

ومن آداب الكسب: أن ينوي العبد الاستعفاف عن السؤال، وكف الطمع عن الناس استغناءً بالحلال عنهم، واستعانة بما يكسبه على الدين، وقياماً بكفاية العيال؛ ليكون من جملة المجاهدين به، ولينو النصح للمسلمين، وأن يحب لسائر الخلق ما يحب لنفسه، ولْيَنْو اتباع طريق العدل والإحسان في معاملته، وأنْ يقصد القيام في صنعته أو تجارته بفرض من فروض الكفايات، ولا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة وأسواق الآخرة المساجد، قال تعالى: « ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ (النور: ٣٧). [بتصرف واختصار من «تهذيب موعظة المؤمنين» (ص: ١٥١ - ١٦٠)].

وينبغي له أن يتحرى الحلال من الرزق، فإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ (البقرة: ١٧٢)، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ (المؤمنون:٥١). [صحيح مسلم ١٠١٥].

قالوا: من أكل حلالاً فعل الطاعات، ومن أكل حراماً فعل المعاصي، ومن أكل من الشبهات وقع في الشبهات.

وينبغي للعبد أن يراقب الله تعالى في عمله، ويحسن إلى خلقه، وأن يوفي بما تعاقد عليه في عمله؛ فقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ (المائدة:١).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

القصة في كتاب الله

نزول عيسى عليه السلام

الحلقة الثالثة

إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد

اختلاف الناس في توقيت نزول عيسى عليه السلام

الحمد لله الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات والأراضين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للخلق أجمعين، أما بعدُ:

فهذا لقاؤنا الثالث مع قصة نزول نبي الله عيسى ابن مريم في آخر الزمان، تحدثنا في المقال الأول عن بعض أسباب تخصيص عيسى ابن مريم بالنزول في آخر الزمان، ثم تحدثنا عن أدلة نزوله من القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال أهل العلم، وكيف ردُّوا على منكري أحاديث عيسى والمهدي.

وقبل أن أبدأ حديثي معكم اليوم أحبُّ أن أشير من باب الإنصاف إلى ما يلي:

ذكرتُ أن الذين أنكروا أحاديث عيسى والمهدي هم أتباع مدرسة الشيخ محمد عبده- رحمه الله- ومنهم: الشيخ رشيد رضا- رحمه الله- بالرغم من جهوده التي لا تُنكر في نشر السنة وعلومها، وذكرتُ ردود العلماء على هذه المدرسة العقلية.

أما حديثنا اليوم: فنبدأ بعرض حقيقة اجتمع عليها أهل الأديان الثلاثة: اليهود والنصارى والمسلمون، ولكن..!

ويحسن بنا أن نقرأ أولاً كلام ابن القيم- رحمه الله- ثم ننظر ماذا بعد، قال ابن القيم: «والأمم الثلاث تنتظر منتظَرًا يخرج في آخر الزمان، فإنهم وُعدوا به في كل ملة» [إغاثة اللهفان ج٢ ص٣٣٨، ط مكتبة عاطف، بتحقيق حامد الفقي سنة ١٩٣٩م].

ويقول عن اليهود: «إنهم ينتظرون قائمًا من ولد داود النبي، إذا حرَّك شفتيه بالدعاء مات جميع أعدائه، وأن هذا المنتظَر- بزعمهم-: هو المسيح الذي وُعدوا به، وهم في الحقيقة ينتظرون مسيح الضلالة الدجال، فهم أكثر أتباعه، وإلا فمسيح الهدى عيسى ابن مريم عليه السلام سيقتلهم، ولن يُبقي منهم أحدًا»[إغاثة اللهفان ج٢ ص٣٣٨، ط مكتبة عاطف، بتحقيق حامد الفقي سنة ١٩٣٩م]..

ويقول رحمه الله: «والمسلمون ينتظرون نزول

Upload by: altawhedmag.com

عيسى ابن مريم من السماء، لكسر الصليب، وقتل الخنزير، وقتل أعدائه من اليهود، وعبَّاده من النصارى، وينتظرون خروج المهدي من أهل بيت النبوة، يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جورًا». اهـ. [إغاثة اللهفان ج٢ ص٣٣٨، ط مكتبة عاطف، بتحقيق حامد الفقي سنة ١٩٣٩م].

أما النصارى فينتظرون نزول عيسى ابن مريم الذي هو الله (في زعمهم) ليحملهم ويرتفع بهم فوق السحاب، أما أعداؤهم من المسلمين وغيرهم (يسمونهم الأشرار) فسيغرقون في بحيرة النار المتقدة بالكبريت، وسنعودُ إن شاء الله للحديث بالتفصيل عن عقيدة كل أمة وبيان الحق من الباطل فيها، لكن الذي أنبِّه إليه الآن أنه كما وقع الاختلاف في عقيدة نزول عيسى فقد وقع الاختلاف في توقيت نزوله، وهذا ما سنشرع في بيانه بعون الله فيما يلي:

أولاً: اضطراب أهل الكتاب في تحديد زمن عودة المسيح المنتظر:

يعتقد كثير من النصارى أن المسيح سيرجع بعد ألف سنة ثم يحكم العالم ألف سنة أخرى، وعلى ذلك اعتقدوا عودته على رأس الألف سنة الميلادية الأولى، ولكن المسيح لم يظهر كما توهموا فهدأت المسألة وتلاشت حتى بداية القرن الأخير من الألف الثانية يعني سنة ١٩٠٠٠م بدأت الدعوات تظهر من جديد واتفقت الصهيونية النصرانية مع الصهيونية اليهودية على تهيئة الأجواء لقدومه، والذي كانوا يتوقعونه مع نهاية الألف الثانية، وذلك بتجميع اليهود في أرض فلسطين وهي الأرض التي وُلد فيها المسيح، وسيعود إليها، وبدئ بالتخطيط لقيام دولة إسرائيل- وسيأتي مزيد بيان لهذا الموضوع لاحقًا إن شاء الله- وانتشرت هذه العقيدة الألفية لعودة المسيح في أوساط كثيرة في أمريكا وأوروبا ابتداءً من السياسيين والرؤساء والعامة وبخاصة في أمريكا، وقد ظهرت كتب تروِّج لذلك، ولاقت رواجًا هائلاً في كل الأوساط ومن أهم هذه الكتب: «دراما نهاية الزمن»، ومؤلفه «أوترال لوبرتس».

والثاني: كتاب «نهاية الكرة الأرضية العظيمة»، ومؤلفه: لندسي، «وقد ارتفع مستوى الإيمان بهذه العقيدة، وكثر الحديث عنها أثناء أزمة الخليج، واعتقد بعضهم أن حرب الخليج هي هرمجدون، وتأولوا كثيرًا من وقائعها على ما جاء في رؤيا يوحنا وأمثاله» [د. سفر الحوالي- الوعد الحق والوعد المفترى- ص٣٣، مكتبة السنة بالقاهرة ١٩٩٤م].

وأنت تلاحظ يا أخي أن كل هذه التوقعات والتخمينات قائمة على الرؤى والتأويلات التي ليس لها نصيب من الصحة، هذا إن استبعدنا سوء القصد والرغبة في تحقيق أهداف محددة من العلو والفساد في الأرض والرغبة في السيطرة وتحقيق مكاسب مادية على حساب الحقيقة، وهذا بلا شك حاصل.

ويؤكد كذلك كذب كل هذه التوقعات أنها لم تحدث؛ فقد توقعوها في نهاية الألف الأولى ولم تحدث، ثم توقعوها في نهاية الألف الثانية ولم تقع، وقالوا: حرب الخليج هي النهاية، وكذا، فماذا بعد؟ ومن جانب آخر لا نرى في الكتب المعتمدة في أيديهم ما يدل على هذا التحديد ولننظر بعضًا منها حتى لا نطيل ما جاء في مرقس ١٣ (٣٢- ٣٣): «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفها أحد، لا الملائكة التي في السماء، ولا الابن، إلا الآب، فكونوا على حذر، واسهروا وصلوا؛ لأنكم لا تعرفون متى يجيء الوقت»، يعني متى يأتي وقت عودة المسيح وهو مرتبط بنهاية العالم.

وفي متى ٣٦/٢٤: «أما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعرفها أحد لا ملائكة السماوات، ولا الابن، إلا الآب وحده».

ثانيًا: استنساخ المسيح للتعجيل بعودته:

لم يتوقف عبث اليهود والنصارى على ما

Upload by: altawhedmag.com

ذكرنا من توقع عودته على رأس الألف عام كما سبق بيانه، بل وصل الهوس بهم إلى ظهور بعض المنظمات التي تتبنى فكرة استنساخ المسيح، وهم بهذا التفكير يشبهون من يصنع صنمًا من عجوة فإذا جاع أكله!!

يقول صاحب كتاب «المسيح المنتظر ونهاية العالم»: «ثمة منظمة وصفت نفسها بأنها لا تسعى إلى جني الأرباح صرحت بأنها ترمي إلى إقامة مشروع للتعجيل بعودة المسيح عن طريق استنساخ جسمه باستخدام التقنيات الناجحة في جمعية وزالين في اسكتلندا باستخدام الصبغة الجينية من خلية وحيدة ووضعها داخل بيضة بشرية وفق الخطوات التالية:

أ- زعموا أن بعض الكنائس تحتفظ ببقايا مقدسة من جسم المسيح (دم- شعر)، وهم يقومون بالحصول عليها لاستخراج الصبغة.

ب- سيتم زرع البيضة الخاصة بالمسيح بعد إعدادها في رحم امرأة شابة عذراء، تطوعت من تلقاء نفسها بحضانة البيضة في رحمها وولادة الطفل ولادة عذرية ثانية. [تعالى الله عما يقولون].

ج- إذا سار كل شيء حسب الخطة فستكون الولادة في الخامس والعشرين من شهر كانون ديسمبر عام ٢٠٠١م) [راجع كتاب المسيح المنتظر ونهاية العالم، عبد الوهاب عبد السلام طويلة، ص٢٧٥ وما بعدها، ط. دار السلام بالقاهرة، سنة ٢٠٠٤م].

وقد حمل المشروع دليل كذبه وفشله حين حدد هذا التاريخ باليوم والعام، وها نحن في يناير عام ٢٠١٤م ولم يحدث شيء مما قالوا، فهم ينتقلون من كذب إلى كذب، وينتقلون بين باطل إلى باطل أشد، وقد أشارت صحيفة الشرق الأوسط الصادرة في ٢٦ شعبان عام ١٤٢١هـ الموافق ٢٠٠٠/١١/٢٢م إلى هذا الموضوع فقالت: «إن جماعة ينتمون إلى طائفة مسيحية أمريكية يخططون للعمل على تعجيل عودة المسيح إلى الأرض عن طريق استنساخه من لحم ودم، ويتوقعون أن يبصر المستنسَخ النور في ميلاد العام المقبل (يعني ٢٠٠١م)، فأين هذا المستنسخ؟!

ثالثًا: وقوع بعض المنتسبين للإسلام فيما وقع فيه أهل الكتاب:

الحقيقة المؤسفة أن من المسلمين من تأثر بما وقع فيه أهل الكتاب من تأويلات وإنزال علامات الساعة على الواقع، وتحديد عمر الأمة الإسلامية، وظهرت كتب كثيرة في هذا الموضوع وجدت رواجًا عند كثير من الناس بسبب حالة الضعف والهوان التي وصلت إليها أمة الإسلام، وتكالب الأمم عليها، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وبعض هؤلاء الكُتاب اجتهد وأخطأ، وبعضهم تعمد الكسب المادي وجني المال واستغلال حالة الناس إلى مخرج ومنفذ، وبعضهم تعمد التحريف والكذب والافتراء، ونحن الآن لسنا بصدد الرد عليهم ولا مناقشتهم، فهذا أمر يطول، وقد كفانا مؤونة ذلك الواقعُ الذي دحض افتراءاتهم وكذبهم، وإخواننا من أهل العلم الذين ردُّوا عليهم. [ممن تولى الرد على هؤلاء: فضيلة الشيخ محمد إسماعيل المقدم، وفضيلة الشيخ أحمد أبو العينين، وفضيلة الشيخ محمد بيومي، حفظهم الله جميعًا].

رابعا: عقيدة أهل السنة في نزول عيسى ابن مريم

سبق أن ذكرنا عقيدة أهل السنة في نزول المسيح وملخصها أن المسيح عليه السلام ينزل في آخر الزمان دون تحديد لوقت معين كما دلت على ذلك الأدلة من القرآن والسنة.

ومنها قوله تعالى: «وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ» [الزخرف :٦١] أي : علامة عليها ، وقوله صلى الله عليه وسلم: «والذى نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد» [صحيح البخاري / ٣٢٦٤].

وإلى لقاء قريب بإذن الله.

Upload by: altawhedmag.com



من أسباب التمكين من هدي سيد المرسلين

إعداد/ جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعدُ:

فقد انتهينا في ما مضى من الحديث عن العبر من الهجرة النبوية التي قد مضت لأهلها كما ذكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يبق من الهجرة إلا الخصلة الثانية وهي هجرة السوء وأهله، لكن أضيف أنه لو أحاط بالمسلمين فرادى أو جماعات ديار كفر واستضعاف كالذي حدث للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فإن الهجرة إلى أرض يأمن فيها المسلم على دينه ونفسه وعرضه تكون مشروعة حينئذ، لوجود العلة، وهذا امتدادًا للمنهج النبوي، ولذلك سنتحدث هذه المرة عن التمسك الشديد لنبي الإسلام بالمنهج الرباني.

أخي المسلم: إنك لن تحبّ لله إلا إذا عرفت أولا الله الذي تحبّ من أجله، وتبغض من أجله !! فالترتيب الطبيعيَ أن تعرف قبل كل شيء: من ربّك؟ وما دينك؟ فإذا عرفت ذلك- بعقل نظيف- وزنت- بقلب شاكر- جميل من بلَغك عن الله، وتحمَل العنت من أجلك.

وصدق الله القائل: « قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ». [آل عمران: ٣١].

ثم إن نبيَ الإسلام صلى الله عليه وسلم لم يُنَصّب نفسه في مكانَة يهب منها المغفرة للبشر، ويمنح البركات، إنه لم يفعل ذلك يومًا ما، لأنه لم يشتغل بالدجل قط.

إنه يقول لك: تعال معي؛ أنت وغيرك من الناس، لنقف جميعا في ساحة ربّ العالمين نُناجيه: « اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ » [الفاتحة: ٦- ٧].

وليس عمل محمد عليه الصلاة والسلام أن يجرّك بحبل إلى الجنة، وإنما عمله أن يقذف في ضميرك البصر الذي ترى به الحق، ووسيلته إلى ذلك كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ميسّر للذكر، محفوظ من الزيغ، وذاك سرّ الخلود في رسالته.

إنّ محمدًا عليه الصلاة والسلام يحمل كتابًا من الخالق إلى خلقه؛ يهديهم من ضلال، وينقذهم من خبال، وهو- قبل غيره- مكلّف بتصديقه، والعمل به، والنزول عند أحكامه، فإذا كان الله تعالى يطلب من عباده أن يستقيموا إليه ويستغفروه، فمحمد عليه الصلاة والسلام ألهج الناس بالاستغفار، وألزمهم للاستقامة، ولم يطلب مُلكًا، ولا مالاً، ولا جاهًا. لقد أمكنه الله عز وجل من هذا كله فعفّ عنه، وترفّع أن يمدّ يده إليه، وبسط العطاء مما سيق إليه من خيرات، فأنفق واديا من المال في ساعة من نهار، وترك الحياة غير معقب لذريته درهمًا.

١ - الثبات على الحق مهما كان الثمن:

واستمر صلى الله عليه وسلم في دعوته للناس مع معارضتهم له، حتى جاء وفد قريش إلى عمه أبي طالب وقالوا: يا أبا طالب؛ إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضلّل آباءنا، فإمّا أن تكفّه عنا، وإما أن تخلّي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فقال لهم أبو طالب قولاً جميلاً، وردّهم ردًا رفيقًا، فانصرفوا عنه.

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو عليه، ثم استشرى الأمر بينه وبينهم، حتى تباعد الرجال فتضاغنوا، وأكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتآمروا فيه فمشوا إلى أبي طالب مرة أخرى، فقالوا: يا أبا طالب إن لك فينا سنًا وشرفًا، وإنا قد استنهيناك أن تنهى ابن أخيك فلم تفعل، وإنا- والله- لا نصبر على هذا من شتم آلهتنا وآبائنا، وتسفيه أحلامنا حتى تكفّه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك؛ إلى أن يهلك أحد الفريقين، ثم انصرفوا عنه.

ولم يكن من النبي صلى الله عليه وسلم إلا الإصرار على بيان الحق والدعوة إليه، وكشف الباطل الذي يعكفون عليه، متحديًا الذين يعارضون، وليكن في ذلك ما يكون.

ولهذا كان يقول: «والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بُعثت

Upload by: altawhedmag.com

به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار». فقال أبو طالب: والله ما كذب ابن أخي قط، ارجعوا راشدين. قال الهيثمي في (المجمع: ٦/١٥): «رواه أبو يعلى باختصار يسير من أوله، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح».

٢ - توحيد الله عز وجل من أهم أسباب التمكين ومن ذلك ما شهد له به أعدائه:

حرص النبي صلى الله عليه وسلم على نشر رسالة التوحيد خالصة من كل شائبة، وإرساء دعائم الإسلام ونظامه خاليًا من كل خلط وزيف، وتقصير وزيغ. حتى شهد له منصفو المستشرقين الغربيين، من الكُتّاب والباحثين والمؤرخين.

فهذا المؤرخ البريطاني «بلان أرنولد تونبي» يبين في كتابه (دراسة للتاريخ: ١٠/٣٨١): أن حرص محمد طيلة حياته على حماية جناب التوحيد، وبسط نظام الحكم الإسلامي كمقتضى لهذا التوحيد؛ كان سبب تمكينه في الأرض. يقول: «لقد كرّس محمد صلى الله عليه وسلم حياته لتحقيق رسالته في كفالة هذين المظهرين في البيئة الاجتماعية العربية (وهما الوحدانية في الفكرة الدينية، والقانون والنظام في الحكم). وتم ذلك فعلاً بفضل نظام الإسلام الشامل الذي ضم بين ظهرانيه الوحدانية والسلطة التنفيذية معا.. فغدت للإسلام بفضل ذلك قوة دافعة جبارة لم تقتصر على كفالة احتياجات العرب ونقلهم من أمة جاهلة إلى أمة متحضرة، بل تدفق الإسلام من حدود شبه الجزيرة، واستولى على العالم بأسره من سواحل الأطلسي إلى شواطئ السهب الأوراسي...».

وهذا الباحث الفرنسي «جاك جسلر» في كتابه (الحضارة العربية ص/٣٧) يبين كيف استطاع النبي صلى الله عليه وسلم بإصراره على تنقية التوحيد من شوائب الشرك أن يحقق أعظم الإنجازات في أقصر الأوقات؛ يقول: «.. كان لزامًا على محمد صلى الله عليه وسلم أن يُبرز في أقصر وقت ممكن تفوّق الشعب العربي عندما أنعم الله عليه بدين سام في بساطته ووضوحه، وكذلك بمذهبه الصارم في التوحيد في مواجهة التردد الدائم للعقائد الدينية. وإذا ما عرفنا أن هذا العمل العظيم أدرك وحقق في أقصر أجل أعظم أمل لحياة إنسانية؛ فإنه يجب أن نعترف أن محمدًا صلى الله عليه وسلم يظل في عداد أعظم الرجال الذين شرُف بهم تاريخ الشعوب والأديان».

٣ - من أسباب التمكين سرعة الاستجابة لله ورسوله:

أولاً: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » [البقرة: ٢٨٤]، قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللهِ، كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ، الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ »، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ، ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي إِثْرِهَا: « ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » [البقرة: ٢٨٥]، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: « لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا » [البقرة: ٢٨٦] « قَالَ: نَعَمْ » « رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا » [البقرة: ٢٨٦] « قَالَ: نَعَمْ » « رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ » [البقرة: ٢٨٦] « قَالَ: نَعَمْ » « وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ » [البقرة: ٢٨٦] « قَالَ: نَعَمْ ». [صحيح مسلم ١/١١٥].

«فجاء الصحابة، رضي الله عنهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فجثوا على رُكبهم، وقد فعلوا ذلك من شدة الأمر وقالوا: يا رسول الله؛ إن الله تعالى أمرنا بما نطيق؛ الصلاة، والجهاد، والصيام، والصدقة، فنصلي، ونجاهد، ونتصدق، ونصوم. لكنه أنزل هذه الآية: (وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ) (البقرة: ٢٨٤)، وهذه شديدة عليهم لا أحد يطيق أن يمنع نفسه عما تحدثه به من الأمور التي لو حوسب عليها لهلك. فقال النبي عليه الصلاة والسلام: (أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا) أهل الكتابين هم اليهود والنصارى. فاليهود كتابهم التوراة، وهي أشرف الكتب المنزلة بعد القرآن. والنصارى كتابهم الإنجيل وهو متمّ للتوراة. واليهود والنصارى عصوا أنبياءهم وقالوا: سمعنا وعصينا، فهل تريدون أن تكونوا مثلهم؟ (ولكن قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير). هكذا يجب على المسلم إذا سمع أمر الله ورسوله أن يقول: (سمعنا وأطعنا)، ويمتثل بقدر ما يستطيع، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وكثير من الناس اليوم يأتي إليك يقول: إن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بكذا، هل هو واجب أو سنة؟ والواجب أنه إذا أمرك فافعل؛ إن كان واجباً فقد أبرأت الذمة، وحصلت خيراً، وإن كان

Upload by: altawhedmag.com

مستحباً فقد حصلت خيراً أيضاً. أما أن تقول: أهو واجب أو مستحب؟! وتتوقف عن العمل حتى تعرف، فهذا لا يكون إلا من إنسان كسول لا يحب الخير ولا الزيادة فيه. أما الإنسان الذي يحب الزيادة في الخير، فهو إذا علم أمر الله ورسوله قال: سمعنا وأطعنا ثم فعل، ولا يسأل أهو واجب أو مستحب، إلا إذا خالف، فحينئذ يسأل، ويقول: أنا فعلت كذا وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكذا فهل عليَّ من إثم؟ ولهذا لم نعهد ولم نعلم أن الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا إذا أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر قالوا: يا رسول الله؛ أعلى سبيل الوجوب أم على سبيل الاستحباب؟ ما سمعنا بهذا، كانوا يقولون: سمعنا وأطعنا ويمتثلون.

فانت افعل وليس عليك من كونه مستحباً أو واجباً، ولا يستطيع الإنسان أن يقول إن هذا الأمر مستحب أو واجب إلا بدليل، والحجة أن يقول لك المفتي: هكذا أمر الرسول عليه الصلاة والسلام». [شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٣٢٣/٢].

٤- الوقوف عند حدود الله والبعد عن العواطف:

ثانيًا: في تفسير قول الله تعالى:﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾. [المجادلة: ١]، أنها «نَزَلَتْ في خَوْلَةَ بِنْت ثَعْلَبَةَ كَانَتْ تَحْتَ أَوْسِ بْنِ الصَّامِت وَكَانَتْ حَسَنَةَ الْجِسْمِ وَكَانَ به لَمَمٌ فَأَرَادَهَا فَأَبَتْ فَقَالَ لَهَا: أَنْت عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي، ثُمَّ نَدمَ عَلَى مَا قَالَ وَكَانَ الظهَارُ وَالإِيلاَءُ منْ طَلَاقِ أَهْلِ الْجَاهليَّة، فَقَالَ لَهَا: مَا أَظُنك إِلَّا قَدْ حَرُمْت عَلَيَّ فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا ذَاكَ طَلَاقٌ وَأَتَتْ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ وَعَائشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا تَغسلُ شِقَّ رَأسه، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّه إِنَّ زَوْجِي أَوْسَ بْنَ الصَّامت تَزَوَّجَني وَأَنَا شَابَّةٌ غَنيَّةٌ ذَاتُ مَالٍ وَأَهْلٍ حَتَّى إِذَا أَكَلَ مَالِي وَأَفْنَى شَبَابِي وَتَفَرَّقَ أَهْلِي وَكَبُرَ سنِّي ظَاهَرَ منِّي، وَقَدْ نَدمَ فَهَلْ منْ شَيْءٍ يَجْمَعُنِي وَإِيَّاهُ تُنْعشُنِي به؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: حَرُمْت عَلَيْه، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّه وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكتَابَ مَا ذَكَرَ طَلَاقًا وَإِنَّهُ أَبُو وَلَدي وَأَحَبُّ النَّاس إِلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: حَرُمْت عَلَيْه، فَقَالَتْ أَشْكُو إِلَى الله فاقتي ووحدتي فقد طالت [معه] صُحْبَتِي وَنَفَضْتُ لَهُ بَطْنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: مَا أَرَاك إِلَّا قَدْ حَرُمْت عَلَيْه وَلَمْ أُومَرْ في شَأْنك بشَيْءٍ، فَجَعَلَتْ تُرَاجعُ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم، وَإِذَا قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: حَرُمْت عَلَيه هتفت وقالت: أشكو إِلَى اللَّه فَاقَتي وَشدَّةَ حَالي وَإِنَّ لي صبْيَةً صغَارًا إِنْ ضَمَمْتُهُمْ إِلَيْه ضَاعُوا وَإِنْ ضَمَمْتُهُمْ إِلَيَّ جَاعُوا، وَجَعَلَتْ تَرْفَعُ رَأسَهَا إِلَى السَّمَاء وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ فَأَنْزِلْ عَلَى لسان نَبيك فرجي، وَكَانَ هَذَا أَوَّلَ ظهَارٍ في الإِسْلَام، فَقَامَتْ عَائشَةُ تَغْسلُ شقَّ رَأسه الآخَر، فَقَالَت: انْظُرْ في أمري جعلني اللَّهُ فدَاءَكَ يَا نَبيَّ اللَّه، فَقَالَتْ عَائشَةُ: أَقْصري حَديثَك وَمُجَادَلَتَك أَمَا تَرَيْنَ وَجْهَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ؟ وَكَانَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وسلم إذا أنزل عليه [الوحي] أَخَذَهُ مثْلُ السُّبَات، فَلَمَّا قَضيَ الْوَحْيُ قَالَ لَهَا: ادْعي زَوْجَك فَدَعَتْهُ، فَتَلَا عَلَيْه رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: قَدْ سَمعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتي تُجَادلُك، الآيَات، قَالَتْ عَائشَةُ: تَبَارَكَ الَّذي وَسعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ كُلَّهَا إِنَّ الْمَرْأَةَ لَتُحَاورُ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم وَأَنَا في نَاحيَة الْبَيْت أَسْمَعُ بَعْضَ كَلَامهَا وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ إِذْ أَنْزَلَ اللَّهُ قَدْ سَمعَ اللَّهُ الآيَات. [تفسير البغوي - إحياء التراث ٣٩/٥].

وأصل الحديث في صحيح البخاري.

فانظر أخي المسلم إلى إصرار النبي صلى الله عليه وسلم على ألا يفعل شيئًا لم ينزل عليه فيه وحي، مع ما ألمَّ بالمرأة من أضرار، وهي تجادل رسول الله وتستعطفه، لكنه صلى الله عليه وسلم لا تزحزحه العواطف إلى سلوك مسلك لا دليل له عليه. فإذا به يقول لها:«لم أومر في شأنك بشيء».

٥- اهتمام النبي بما ينطق به اللسان دليل على أهميته في التمكين لدين الله:

١. عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ أُتيَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ برَجُلٍ قَدْ شَربَ، قَالَ: «اضْربُوهُ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَة: فَمنَّا الضَّاربُ بيَده، وَالضَّاربُ بنَعْله، وَالضَّاربُ بثَوْبه، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ بَعْضُ الْقَوْم: أَخْزَاكَ اللَّهُ، قَالَ: «لَا تَقُولُوا هَكَذَا، لَا تُعينُوا عَلَيْه الشَّيْطَانَ». [صحيح البخاري ١٥٨/٨].

٤. عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «لَا تَقُولُوا للْمُنَافق سَيِّدٌ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ».[سنن أبي داود ٢٩٥/٤، وصححه الألباني]. وهذا يقال للذين يمدحون المنافقين ويمجدونهم نفاقا منهم أيضًا.

٥. عَنْ حُذَيْفَةَ، عَن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ». [سنن أبي داود ٢٩٥/٤، وصححه الألباني]. وقد أصر النبي صلى الله عليه وسلم على الالتزام بذلك، ولهذا أنكر على الذي قال: ما شاء الله وشئت بقوله صلى الله عليه وسلم:» أجعلتني لله ندًا؟ قل: ما شاء الله وحده». [أخرجه أحمد وصححه الألباني، وانظر صحيح ابن خزيمة ١٠٦/٤]. وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَحَدَّثَهُ بِبَعْضِ الْكَلَامِ،

Upload by: altawhedmag.com

فَقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ: «جَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدِيلاً؟ لا بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ». [مصنف ابن أبي شيبة ٣٤٠/٥].

ومثل هذا ما يقوله البعض جهلاً: توكلت على الله وعليك، والصواب أن يقول: توكلت على الله ثم عليك والفرق بين الواو وثم أنه إذا عطف بالواو كان مضاهياً مشيئة الله بمشيئة العبد إذ قرن بينهما، وإذا عطف بـ(ثم)، فقد جعل مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله عز وجل.

٦. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا الدَّهْرُ أُرْسِلُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا، وَلَا يَقُولَنَّ لِلْعِنَبِ الْكَرْمَ، فإن الكَرْمَ الرجل المسلم).[صحيح البخاري: ٧٨. ك الأدب ، ١٠١، ١٠٢ . ب لا تسبوا الدهر. ومسلم: ٤٠ . ك الألفاظ من الأدب وغيرها].

٦- من أسباب التمكين الاقتداء بسلفنا الصالح في وقوفهم على سنة نبينا صلى الله عليه وسلم:

١. عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي جُشَمَ، فَقَالُوا: بِالرِّفَاءِ (بالوفاق)، وَالْبَنِينَ (والذرية)، فَقَالَ: لَا تَقُولُوا هَكَذَا، وَلَكِنْ قولوا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ، وَبَارِكْ عَلَيْهِمْ».[سنن ابن ماجه ٦١٤/١، وصححه الألباني]. وذلك وإن كان دعاءً صالحًا لكنه تمسُّك السلف بألفاظ النبوة.

٢. عَنْ عُمَرَ مَوْلَى غُفْرَةَ، وَحَمَّادِ بْنِ هِلَالٍ، أَنَّ ابْنَ الْكَوَّاءِ، قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: مَا قَوْسُ قُزَحَ؟ قَالَ: «لَا تَقُولُوا قَوْسَ قُزَحَ، فَإِنَّ قُزَحَ الشَّيْطَانُ، وَلَكِنْ أَمَنَةٌ مِنَ اللَّهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنَ الْغَرَقِ بَعْدَ قَوْمِ نُوحٍ» [الجامع لابن وهب ص: ١٠٥، باب الأسماء]. وفي ص١٠٥: عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: «لَا تَقُولُوا قَوْسَ قُزَحَ، فَإِنَّمَا الْقُزَحُ شَيْطَانٌ، وَلَكِنَّهَا الْقَوْسُ». وفي مثل هذا الباب أيضا يخطئ بعض الناس إذا رأى زرعًا نبت من الأرض لم يزرعه أحد من الناس فسُئل عمن زرعه؟ فيقول إنه نبتٌ شيطاني، وهذا خطأ فاحش، فالشيطان لا يحرث ولا يزرع، وإنما الله تعالى هو الزارع. قال تعالى: «ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ» (الواقعة: ٦٤).

عن ابن عباس رضي الله عنهما: الْقَوْسُ أَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنَ الْغَرَقِ وَالْمَجَرَّةُ باب السماء الذي تنشق منه. صحيح الإسناد. [الأدب المفرد ص: ٤٠٩].

. وفي مَن يغالون في تسمية الموتى بالشهداء، بل ويحاولون انتزاع هذا الحكم في فتاوى أهل العلم، وإلا وإلا.. نسوق إليهم هدي السلف في ذلك، والتزامهم ما علموه من هدي نبيهم صلى الله عليه وسلم:

قَالَ أَبُو الْعَجْفَاءِ السُّلَمِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلَا لَا تُغَالُوا فِي صُدُقِ النِّسَاءِ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ لَكَانَ أَوْلَاكُمْ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، مَا أَصْدَقَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ، وَلَا أُصدقت امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِهِ فَوْقَ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً، أَلَا وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيُغْلِي بِصَدُقَةِ امْرَأَتِهِ حَتَّى يُبْقِيَ لَهَا عَدَاوَةً فِي نفسه، فَيَقُولُ كَلِفْتُ إِلَيْكِ عَلَقَ الْقِرْبَةِ - أَوْ عَرَقَ الْقِرْبَةِ - وَأُخْرَى تَقُولُونَهَا (أي: خطأ) فِي مَغَازِيكُمْ، قُتِلَ فُلَانٌ شَهِيدًا، وَمَاتَ فُلَانٌ شَهِيدًا، وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَوْقَرَ دَفَّ رَاحِلَتِهِ أَوْ عَجُزَهَا ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً يُرِيدُ الدَّنَانِيرَ وَالدَّرَاهِمَ،(يعني: لص) أَلَا لَا تَقُولُوا ذَاكُمْ، وَلَكِنْ قُولُوا: كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ قُتِلَ فَهُوَ شَهِيدٌ». حديث صحيح[سنن سعيد بن منصور ٢٥١/٢].

. ومن الفهم العميق، والأدب الرقيق ما جاء عن عمار بن ياسر رضي الله عنه: عَنْ زِيَادِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: كُنْتُ إِلَى جَنْبِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ بِصِفِّينَ ، وَرُكْبَتِي تَمَسُّ رُكْبَتَهُ ، فَقَالَ رَجُلٌ: كَفَرَ أَهْلُ الشَّامِ ، فَقَالَ عَمَّارٌ: لَا تَقُولُوا ذَلِكَ، نَبِيُّنَا وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ ، وَقِبْلَتُنَا وَقِبْلَتُهُمْ وَاحِدَةٌ ؛ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ مَفْتُونُونَ جَارُوا عَنِ الْحَقِّ ، فَحَقٌّ عَلَيْنَا أَنْ نُقَاتِلَهُمْ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَيْهِ «. وفي رواية قَالَ عَمَّارٌ: لَا تَقُولُوا: كَفَرَ أَهْلُ الشَّامِ ، وَلَكِنْ قولوا: فَسَقُوا ظَلَمُوا «.[مصنف ابن أبي شيبة ٥٤٧/٧].

فليسمع هذا أهل الشطط في تكفير كل من خالفهم، فضلاً عمن قاتلهم.

بعض الفوائد العامة المستنبطة مما سبق بيانه:

من أهم أسباب التمكين والنصرة ما يلي:

١- الثبات على الحق مهما كان الثمن، وبيان ذلك في إصرار النبي صلى الله عليه وسلم على بيان الحق والدعوة إليه.

٢- توحيد الله عز وجل.

٣- الاستجابة لله ورسوله.

٤- الوقوف عند حدود الله، والبعد عن العواطف.

٥- اللجوء إلى الله تعالى بالدعاء.

٦- اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بما ينطق به اللسان دليل على أهميته في التمكين لدين الله.

٧- الاقتداء بسلفنا الصالح في وقوفهم على سنة نبينا صلى الله عليه وسلم.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين..

Upload by: altawhedmag.com



قصة عظة الخضر موسى عليهما السلام

الحلقة (١٦٢)

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية حتى يقف القارئ الكريم على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص، وغرّهم أن القصة ذُكرت في بعض مصادر الحديث الأصلية عند أهل السنة مما يحتّم علينا تخريجها وتحقيقها.

أولاً: المتن:

رُوِيَ عن عمر بن الخطاب قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « قَالَ أَخِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ: يَا رَبِّ أَرِنِي الَّذِي كُنْتَ أَرَيْتَنِي فِي السَّفِينَةِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: يَا مُوسَى، إِنَّكَ سَتَرَاهُ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلا يَسِيرًا حَتَّى أَتَاهُ الْخَضِرُ، وَهُوَ طَيِّبُ الرِّيحِ، حَسَنُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ، إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ. قَالَ مُوسَى: هُوَ السَّلامُ، وَمِنْهُ السَّلامُ، وَإِلَيْهِ السَّلامُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي لا أُحْصِي نِعَمَهُ، وَلا أَقْدِرُ عَلَى شُكْرِهِ إِلا بِمَعُونَتِهِ.

ثُمَّ قَالَ مُوسَى: أُرِيدُ أَنْ تُوصِيَنِي بِوَصِيَّةٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا بَعْدَكَ.

فَقَالَ الْخَضِرُ: يَا طَالِبَ الْعِلْمِ، إِنَّ الْقَائِلَ أَقَلُّ مَلالَةً مِنَ الْمُسْتَمِعِ، فَلا تُمِلَّ جُلَسَاءَكَ إِذَا حَدَّثْتَهُمْ، وَاعْلَمْ أَنَّ قَلْبَكَ وِعَاءٌ، فَانْظُرْ مَاذَا تَحْشُو بِهِ وِعَاءَكَ، وَاعْزِفْ عَنِ الدُّنْيَا، وَانْبِذْهَا وَرَاءَكَ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ لَكَ بِدَارٍ، وَلا لَكَ فِيهَا مَحَلُّ قَرَارٍ، وَإِنَّهَا جُعِلَتْ بُلْغَةً لِلْعِبَادِ، وَلِيَتَزَوَّدُوا مِنْهَا لِلْمَعَادِ، وَيَا مُوسَى، وَطِّنْ نَفْسَكَ عَلَى الصَّبْرِ تَلْقَ الْحِكَمَ، وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ التَّقْوَى تَنَلِ الْعِلْمَ، وَرُضْ نَفْسَكَ عَلَى الصَّبْرِ تَخْلُصْ مِنَ الإِثْمِ.

يَا مُوسَى، تَفَرَّغْ لِلْعِلْمِ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُهُ، فَإِنَّمَا الْعِلْمُ لِمَنْ يَفْرَغُ لَهُ، وَلا تَكُونَنَّ مِكْثَارًا بِالْمَنْطِقِ مِهْذَارًا، إِنَّ كَثْرَةَ الْمَنْطِقِ تُشِينُ الْعُلَمَاءَ، وَتُبْدِي مَسَاوِئَ السُّخَفَاءِ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِذِي اقْتِصَادٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ التَّوْفِيقِ وَالسَّدَادِ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْجُهَّالِ، وَاحْلُمْ عَنِ السُّفَهَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ فَضْلُ الْحُكَمَاءِ، وَزَيْنُ الْعُلَمَاءِ، إِذَا شَتَمَكَ الْجَاهِلُ فَاسْكُتْ عَنْهُ سِلْمًا، وَجَانِبْهُ حَزْمًا، فَإِنَّ مَا بَقِيَ مِنْ جَهْلِهِ عَلَيْكَ، وَشَتْمِهِ إِيَّاكَ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ.

يَا ابْنَ عِمْرَانَ، أَلا تَرَى أَنَّكَ مَا أُوتِيتَ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلاً، فَإِنَّ الانْدِلاثَ، وَالتَّعَسُّفَ مِنَ الاقْتِحَامِ وَالتَّكَلُّفِ. يَا ابْنَ عِمْرَانَ، لا تَفْتَحَنَّ بَابًا لا تَدْرِي مَا غَلْقُهُ، وَلا تُغْلِقَنَّ بَابًا لا تَدْرِي مَا فَتْحُهُ. يَا ابْنَ عِمْرَانَ، مَنْ لا تَنْتَهِي مِنَ الدُّنْيَا نَهْمَتُهُ، وَلا تَنْقَضِي مِنْهَا رَغْبَتُهُ، كَيْفَ يَكُونُ عَابِدًا؟ مَنْ يُحَقِّرُ حَالَهُ، وَيَتَّهِمُ اللَّهَ بِمَا قَضَى لَهُ، كَيْفَ يَكُونُ زَاهِدًا؟ هَلْ يَكُفُّ عَنِ الشَّهَوَاتِ مَنْ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ هَوَاهُ؟ وَيَنْفَعُهُ طَلَبُ الْعِلْمِ، وَالْجَهْلُ قَدْ حَوَاهُ؟ لأَنَّ سَفَرَهُ إِلَى آخِرَتِهِ وَهُوَ مُقْبِلٌ عَلَى دُنْيَاهُ.

يَا مُوسَى، تَعَلَّمْ مَا تَعْمَلُ لِتَعْمَلَ بِهِ، وَلا تَعَلَّمْهُ لِتُحَدِّثَ بِهِ، فَيَكُونُ عَلَيْكَ بُورُهُ، وَيَكُونُ لِغَيْرِكَ نُورُهُ. يَا مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ، اجْعَلِ الزُّهْدَ وَالتَّقْوَى لِبَاسَكَ، وَالْعِلْمَ وَالذِّكْرَ

Upload by: altawhedmag.com

كَلَامَكَ، وَاسْتَكْثِرْ مِنَ الْحَسَنَاتِ، فَإِنَّكَ مُصِيبُ السَّيِّئَاتِ، وَزَعْزِعْ بِالْخَوْفِ قَلْبَكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُرْضِي رَبَّكَ، وَاعْمَلْ خَيْرًا، فَإِنَّكَ لا بُدَّ عَامِلٌ سِوَاهُ، قَدْ وُعِظْتَ إِنْ حَفِظْتَ.

فَتَوَلَّى الْخَضِرُ، وَبَقِيَ مُوسَى حَزِينًا مَكْرُوبًا».

ثانيًا: التخريج:

الخبر الذي جاءت به قصة عظة الخضر موسى عليهما السلام أخرجه الحافظ الطبراني في «الأوسط» (٧/٤٦٠) (ح٦٩٠٤)، ط. المعارف بالرياض، قال: حدثنا محمد بن المعافى، قال: حدثنا زكريا بن يحيى الوقار، قال: قرئ على عبد الله بن وهب وأنا أسمع قال: حدثنا الثوري، قال: حدثنا مجالد، قال: حدثنا أبو الودَّاك قال: حدثنا أبو سعيد الخدري قال: حدثنا عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال أخي موسى عليه السلام يا رب أرني الذي كنت أريتني في السفينة...» القصة.

ثالثًا: التحقيق:

هذه القصة واهية؛ علتها زكريا بن يحيى الوقار.

أ- قال الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٣/٢١٥) (٧١٣/٢٨) ط. دار الفكر: «زكريا بن يحيى أبو يحيى الوقار مصريٌّ، يضع الحديث ويوصلها، وأخبرني بعض أصحابنا عن صالح جزرة أنه قال: أبو يحيى الوقار: كان من الكذابين الكبار».

قلت: ثم ذكر له أحاديث باطلة منكرة، ثم قال الحافظ ابن عدي: أخبرنا الحسن بن سفيان، ومحمد بن هارون بن حسان واللفظ له، وأحمد بن الممتنع قالوا: حدثنا أبو يحيى الوقار وقال ابن هارون أملى حفظًا قال قرأ عليَّ ابن وهب قال الثوري: قال مجالد: قال أبو الوداك قال أبو سعيد الخدري، قال عمر بن الخطاب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال أخي موسى يا رب أرني الذي أريتني في السفينة، فأوحى الله إليه يا موسى إنك ستراه.. فذكر بطوله في قصة موسى والخضر ووصية الخضر إياه في الزهد، وحضه على طلب العلم. اهـ.

قلت: يتبين من التخريج أن الخبر الذي جاءت به القصة عند الحافظ الطبراني رواه عن زكريا بن يحيى الوقار الراوي: محمد بن المعافى.

وعند الحافظ ابن عدي رواه عنه: الحسن بن سفيان، ومحمد بن هارون بن حسان وأحمد بن الممتنع.

وبهذا يصبح هذا الخبر مشهورًا عن زكريا بن يحيى الوقار الوضَّاع الكذاب.

ب- قال ابن عدي: أبو يحيى الوقار قال: سمعت مشايخ أهل مصر يثنون عليه في باب العبادة والاجتهاد والفضل، وله أحاديث موضوعات ذكرتها، وله أحاديث موضوعة غير ما ذكرت، وكان يُتهم الوقار بوضعها لأنه يروي عن قوم ثقات أحاديث موضوعات، والصالحون قد رسموا بهذا الرسم أن يرووا في فضائل الأعمال أحاديث موضوعة بواطيل، ويتهم جماعة منهم بوضعها». اهـ.

قلت: مما ذكره الحافظ ابن عدي تتبين أمور:

الأول: قوله: «أحاديث موضوعات»، وهذا المصطلح ننبه القارئ الكريم حتى يقف على حقيقة معناه، قال الحافظ السيوطي في «التدريب» (النوع: ٢١): الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أيِّ معنى كان، سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه.

الثاني: قوله: «وكان يتهم الوقار بوضعها؛ لأنه يروي عن قوم ثقات أحاديث موضوعات».

قلت: هذا القول يعتبر قاعدة مهمة من القواعد التي تبين أقسام الوضاعين؛ حتى لا يغتر من لا دراية له بالصنعة الحديثية بعبادة الرجل وزهده؛ فإن مراتب الجرح والتعديل لم تبنَ إلا على العدالة والضبط. لذلك جعل الحافظ السيوطي في «التدريب» (١/٢٨١) هذا القول قاعدة يبنى عليها أول قسم من أقسام الوضاعين حيث قال: «والوضاعون

Upload by: altawhedmag.com

أقسام بحسب الأمر الحامل لهم على الوضع، أعظمهم ضررًا قوم ينتسبون إلى الزهد وضعوه حسبة أي: احتسابًا للأجر عند الله في زعمهم الفاسد! فقبلت موضوعاتهم ثقة بهم وركونًا إليهم؛ لما نسبوا إليه من الزهد والصلاح.

ولهذا قال يحيى القطان: ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه فيمن يُنسب إلى الخير، أي لعدم علمهم بتفرقة ما يجوز لهم وما يمتنع عليهم ولا يهتدون لتمييز الخطأ من الصواب، ولكن الوضاعين منهم -وإن خفي حالهم على كثير من الناس- فإنه لم يخف على جهابذة الحديث ونقاده، وقد قيل لابن المبارك: هذه الأحاديث الموضوعة فقال: «تعيش لها الجهابذة». اهـ.

قلت: وهذه القصة: تطبيق للصنعة الحديثية على أول قسم من أقسام الوضاعين وأعظمهم ضررًا».

وعندما نقدم البرهان على عدم صحة هذه القصة نحقق أهداف هذه السلسلة من خلال هذا البرهان.

جـ- وذكر الحافظ الذهبي في «الميزان» (٢٨٩٢/٧٧/٢) أقوال أئمة الجرح والتعديل في زكريا بن يحيى المصري أبو يحيى الوقار، والتي أوردناها آنفا في بيان أن زكريا الوقار من الكذابين الكبار وأقرها الإمام الذهبي.

د- وذكر الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٥٩٩/٢) (٣٤٧٣/٦١) أقوال أئمة الجرح والتعديل في زكريا بن يحيى المصري أبو الوقار وأقرها.

رابعًا: بدائل صحيحة:

يغني عن هذه القصة الواهية البدائل الصحيحة حتى لا يتعرض من يذكرها إلى الوعيد الذي بينه الإمام البخاري في «صحيحه» (ح١٠٩) قال: حدثنا مكي بن إبراهيم، قال: حدثنا يزيد بن أبي عبيد عن سلمة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من يقل عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار».

قصة الخضر مع موسى عليهما السلام

والقصة صحيحة بل في أعلى درجات الصحة، حيث إن للصحيح أقسام: بيّنها الإمام النووي في «التقريب» (١٢٢/١- تدريب) قال: الصحيح أقسام: أعلاها ما اتفق عليه البخاري ومسلم، ثم ما انفرد به البخاري، ثم مسلم، ثم على شرطهما، ثم على شرط البخاري، ثم مسلم، ثم صحيح عند غيرهما. اهـ.

وبتطبيق هذه القاعدة نجد أن قصة موسى مع الخضر عليهما السلام أخرجها البخاري ومسلم فهي من المتفق عليه، بل في أعلى أقسام الصحيح.

والقصة في كتاب الله تعالى: «وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ» [فصلت: ٤١، ٤٢].

ولقد جاءت القصة في سورة الكهف من قوله تعالى: « وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا » [الكهف: ٦٠]، إلى قوله تعالى: «ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا» [الكهف: ٨٢].

ولقد جاءت السنة الصحيحة في أعلى درجات الصحة مبينة لهذه الآيات تحقيقا لقوله تعالى: «وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » [النحل: ٤٤].

ولقد جمع الإمام مسلم طرق الحديث الذي جاءت به هذه القصة الصحيحة في مكان واحد بأسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة في كتاب «الفضائل» (ح١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤)، وبوَّب لها الإمام النووي بابًا «من فضائل الخضر»، لكن الإمام البخاري قطعها في الأبواب بسبب استنباط الأحكام منها.

ولقد نقل السيوطي عن الحافظ ابن حجر في «التدريب» (٩٥/١): «وإذا امتاز مسلم بجمع طرق الحديث في مكان واحد بأسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة، فسهل تناوله؛ فللبخاري في مقابله من الفضل ما ضمَّنه في أبوابه من التراجم التي حيَّرت الأفكار». اهـ.

Upload by: altawhedmag.com

قلت: فهذا هو التخريج لاستنباطات البخاري فيما ضمَّنه في أبواب من التراجم التي حيرت الأفكار للقصة.

١- لقد بوَّب الإمام البخاري بابًا في صحيحه في كتاب العلم الباب: ١٦- باب «ما ذكر في ذهاب موسى صلى الله عليه وسلم في البحر للخضر، وقوله تعالى: «هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا» [الكهف: ٦٦]، ثم أخرج الحديث (٧٤) الذي استنبط منه هذه الترجمة من القصة.

٢- وبوَّب الإمام البخاري بابًا في صحيحه في كتاب العلم الباب: ١٩ باب «الخروج في طلب العلم»، ثم أخرج الحديث (٧٩) الذي استنبط منه هذه الترجمة من القصة.

٣- وبوَّب الإمام البخاري: بابًا في صحيحه: باب ما يستحب للعالم إذا سئل أيُّ الناس أعلم فيكل العلم إلى الله ثم أخرج الحديث (١٢٢) الذي استنبط منه هذه الترجمة من القصة، وهذا الباب أيضًا في كتاب العلم الباب (٤٤).

٤- وبوَّب الإمام البخاري بابًا في كتاب «الإجارة» الباب: (٧)- باب «إذا استأجر أجيرًا على أن يقيم حائطًا يريد أن ينقض جاز». ثم أخرج الحديث الذي استنبط منه هذه الترجمة (ح٢٢٦٧) من القصة.

٥- وبوَّب الإمام البخاري بابًا في كتاب «الشروط» الباب (١٢)- باب «الشروط مع الناس بالقول» ثم أخرج الحديث رقم (٢٧٢٨) الذي استنبط منه هذه الترجمة من هذه الترجمة من القصة.

٦- وبوَّب الإمام البخاري بابًا في كتاب «بدء الخلق» الباب (١١)، باب «صفة إبليس وجنوده»، ثم أخرج الحديث (٣٢٧٨)، الذي استنبط منه هذه الترجمة من القصة.

٧- وبوَّب الإمام البخاري بابًا في كتاب «أحاديث الأنبياء» الباب (٢٧)- باب «حديث الخضر مع موسى عليهما السلام».
ثم أخرج الحديث (٣٤٠٠) الذي استنبط منه هذه الترجمة من القصة وكذلك الحديث (٣٤٠١) في هذه الترجمة.

٨- وبوَّب الإمام البخاري بابًا في كتاب «تفسير القرآن» الباب (٢) من سورة الكهف باب- « وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا » [الكهف: ٦٠]، ثم أخرج الحديث (٤٧٢٥) الذي استنبط منه هذه الترجمة من القصة.

٩- وبوَّب الإمام البخاري بابًا في كتاب «تفسير القرآن» الباب (٣) من سورة الكهف باب قوله تعالى: « فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا» [الكهف: ٦١].
ثم أخرج الحديث (٤٧٢٦) الذي استنبط منه هذه الترجمة من القصة.

١٠- وبوَّب الإمام البخاري بابًا في كتاب «تفسير» الباب (٤) من سورة الكهف، باب قوله تعالى: «فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا» [الكهف: ٦٢، ٦٣]. ثم أخرج الحديث (٤٧٢٧) الذي استنبط منه هذه الترجمة من القصة.

١١- وبوَّب الإمام البخاري بابًا في كتاب الأيمان والنذور، الباب (١٥) باب: إذا حنث ناسيًا في الإيمان، وقول الله تعالى: «وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ» [الأحزاب: ٥]. وقال تعالى: «لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ» [الكهف: ٧٣]، ثم أخرج الحديث (٦٦٧٢) الذي استنبط منه هذه الترجمة.

١٢- وبوَّب الإمام البخاري بابًا في «كتاب التوحيد» الباب (٣١) باب في «المشيئة والإرادة»، وأخرج الحديث (٧٤٧٨) لاستنباط الترجمة.

هذه هي تراجم البخاري التي حيرت الأفكار حول قصة الخضر وموسى عليهما السلام، فبالبحث من طالب العلم عن مناسبة كل حديث من هذه الأحاديث للباب الذي أخرجه البخاري فيه تنمو عنده ملكة الاستنباط، هذه ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

Upload by: altawhedmag.com

المذهب الوسطي لأبي الحسن الأشعري في توحيد الصفات

تابع: ملامح وقواعد المنهج الوسطي لدي الأشعري في معتقد توحيد الصفات

الحلقة: السابعة عشرة والأخيرة

إعداد/ أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فقد سبق أن أوضحتُ في أربع من القواعد التي أسس الأشعري عليها بنيانَ اعتقاده في إثبات الصفات، وأنه بناه على اعتماد أدلة الشرع، واعتماد أدلة العقل المستوحاة من أدلة الشرع، والأخذ بظواهر النصوص وما صح منها في أحاديث الآحاد، مع تجنب الأحاديث الضعيفة والموضوعة.. وقد تمثل خامس هذه القواعد- وهو موضوع حلقتنا- في اعتماد قاعدة أن:

القول في الصفات كالقول في الذات، والقول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر:

وهذا أساس في طريقة أهل الحق عموماً في تعاملهم مع صفات الله تعالى، وأصل من أصولهم.. فإذا كان له تعالى ذات حقيقية لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل سائر الصفات، وإذا سأل سائل عن الكيفية في الصفة، فإنه يُرَدُّ عليه بأن العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، فكيف يطالِب بكيفية الاستواء والنزول واليد والعين وهو لا يَعلم كيفية الذات؟.. وإذا كان المخاطب ممن يقول بأن الله حيّ بحياة، عليم بعلم، قدير بقدرة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، ويجعل ذلك حقيقة، ثم ينازع في رحمته ومحبته، ورضاه وغضبه، وكراهيته، واستوائه ووجهه ويداه، فيجعل ذلك مجازاً أو يفسّره بالإرادة، أو ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات.. يقال له: ما الفرق بين ما نفيته وبين ما أثبتّه، والسمع والعقل قد دلا على إثبات هذا وذاك؟

أما الأول - يعني دلالة السمع - فلأن دلالة القرآن على أنه رحمن رحيم ودود سميع بصير عليّ عظيم، كدلالته على أنه عليم قدير مستوٍ، له يدٌ تليق بذاته ووجهٌ ومجيءٌ ويمينٌ وإتيانٌ، ليس بينهما أدنى فرق.

وأما الثاني: فلأن المعنى المفهوم في حقنا يمتنع على الله، فكما أن إرادته ليست من جنس إرادة خلقه فرحمته كذلك ليست من جنس رحمة خلقه، وكذلك محبته ورضاه، وغضبه وكراهيته، واستواؤه ووجهه ويداه، وكل ذلك معلوم بالبديهة. [ينظر الإكليل لابن تيمية ٣٢: ٣٦].

ومن كلام أبي الحسن الذي يصب في هذا، قوله في الإبانة ص ١٠٦، ١٠٧: «ويقال لهم: خبِّرونا عمن زعم أن الله متكلم قائل آمرٌ ناه، لا قول له ولا كلام ولا أمر له ولا نهي، أليس هو مناقض خارج عن جملة المسلمين؟، فلا بد من نعم، يقال لهم: فكذلك من قال: إن الله تعالى عالم ولا علم له، كان ذلك مناقضاً خارجاً عن جملة المسلمين، وقد أجمع المسلمون قبل حدوث الجهمية والمعتزلة والحرورية على أن لله علماً لم يزل، وقد قالوا: علم الله لم يزل، وعلم الله سابق في الأشياء، ولا يمتنعون أن يقولوا في كل حادثة تحدث ونازلة تنزل: (كل هذا سابق في علم الله)، فمن جحد أن لله علماً فقد خالف المسلمين وخرج عن اتفاقهم.

ويقال لهم: إذا كان الله مريداً، فله إرادة؟، فإن قالوا: لا، قيل لهم: فإذا أثبتم مريداً لا إرادة له فاثبتوا أن قائلاً لا قول له، وإن أثبتوا الإرادة،

Upload by: altawhedmag.com

قيل لهم: فإذا كان المريد لا يكون مريداً إلا بإرادة، فما أنكرتم أن لا يكون العالم عالماً إلا بعلم، وأن يكون لله علم كما أثبتم له الإرادة».

ومن كلام العلامة الشنقيطي الذي كشف من خلاله هذه المعالم التي وضع الأشعري أساسها وفتق أزاهيرها، قوله في تفسيره آية (الاستواء) في سورة الأعراف: «ينبغي للناظر في هذه المسألة التأمل في أمور:

الأمر الأول: أن جميع الصفات من باب واحد؛ لأن الموصوف بها واحد، ولا يجوز في حقه مشابهة الحوادث في شيء من صفاتهم، فمن أثبت مثلاً أنه سميع بصير، وسمعه وبصره مخالفان لأسماع الحوادث وأبصارهم، لزمه ذلك في جميع الصفات كالاستواء واليد ونحو ذلك من صفاته جل وعلا، ولا يمكن الفرق بين ذلك بحال.

الأمر الثاني: أن الذات والصفات من باب واحد أيضاً، فكما أنه جل وعلا له ذات مخالفة لجميع ذوات الخلق، فله تعالى صفات مخالفة لجميع صفات الخلق.

الأمر الثالث: أما في تحقيق المقام في (الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من آيات الصفات) كالاستواء واليد مثلاً، فجوابه: أنه غلط في هذا خلق لا يحصون كثرة من المتأخرين، فزعموا أن الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من معنى الاستواء واليد مثلاً في الآيات القرآنية، هو مشابهة صفات الحوادث، وقالوا: يجب علينا أن نصرفه عن ظاهره إجماعاً؛ لأن اعتقاد ظاهره كفر، لأن من شبَّه الله بالمخلوق فهو كافر.. والحق الذي لا يَشك فيه أدنى عاقل، أن كل وصف وَصَف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، ظاهره المتبادر منه السابق إلى فهم من في قلبه شيء من الإيمان: هو التنزيه التام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث».

وأظن أن في هذا القدر كفاية في بيان أن ما أصل له أبو الحسن الأشعري من أنَّ ما يقال بحق صفات الذات أو صفات المعاني التي يقر به أهل الكلام ومدعو الانتساب إليه، يقال مثله بحق غيرها من سائر الصفات الخبرية والفعلية.. لم يخرج فيه عن سلف الأمة، ولا خرج عنه أتباعه ومنتهجو نهجه.

على أن سادس هذه القواعد التي أسَّس عليها الأشعري مذهبه: تتمثل في قطع الطمع في إثبات صفاته تعالى عن إدراك ومعرفة كيفية ما وصف به نفسه؛ لكون الكلام في صفاته فرعًا عن الكلام في ذاته:

وقد ظهر ذلك في نص كلام الأشعري السالف الذكر، كما بدا في كثير مما كان يؤكده ويقرره، بل ويسوق له الإجماع، ففي غير ما أوضحناه له في الإبانة، ذكر الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر ص ٢٣٦ ما نصه: «وأجمعوا على وصف الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه ووصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم من غير اعتراض فيه ولا تكييف له، وأن الإيمان به واجب وترك التكييف له لازم».

وبعد أن ذكر في (مقالات الإسلاميين) فرق الخوارج والروافض والجهمية وغيرهم، قال في ص ٢٩٠: ٢٩٧ وتحت عنوان (جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة): «جملة ما عليه أهل الحديث والسنة، الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء عن الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يردّون من ذلك شيئاً.. وأن الله على عرشه كما قال: «ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ» [طه:٥]، وأن له يدين بلا كيف كما قال: «خلقت بيدي» [ص:٧٥]، وكما قال: «بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ» [المائدة:٦٤]، وأن له عينين بلا كيف كما قال: «تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا» [القمر:١٤]، وأن له وجهاً كما قال: «وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ» [الرحمن:٢٧]، وأن أسماء الله لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج..

ويصدّقون - يعني أهل السنة - بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر) كما جاء الحديث، ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال تعالى: «فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ» [النساء:٥٩]، ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين، وأن لا يبتدعوا في دينهم ما لم يأذن به الله.. ويقرون أن الله يجئ يوم القيامة كما قال: «وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا» [الفجر:٢٢]، وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء كما قال: «وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ» [ق:١٦]» إلى أن قال: «فهذا جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب».

وأصل ذلك عند الأشعري وعند غيره من أئمة السلف قول الله تعالى: «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا» [طه:١١٠]، و«أن إدراك حقيقة الكيفية مستحيل؛ وذلك لأن الصفات تابعة للموصوف، فإذا كان جهلنا بماهية الموصوف لا يختلف عليه اثنان، فكيف يتجرأ إنسان بتحديد كيفية أو صفة

Upload by: altawhedmag.com

لموصوف لا يملك تحديد ماهيته.. ولقد ورد تقرير هذا عن كثير من السلف حيث كانت الإجابات جميعها تدور حول التسليم والإيمان بها والجهل بكيفيتها، كما حصل مع الإمام مالك عندما سُئل عن الاستواء في الآية الكريمة» [مدخل جديد إلى عقيدة التوحيد ص ١٤٢ د. خضر سوندك].

وأما سابع ما اعتمد الأشعري عليه في إثبات الصفات من قواعد: فيكمن في انتهاج طريقة الإثبات المفصل والنفي المجمل:

وقد رأينا كيف يكرر الأشعري ما جاء عن الله في صفاته على جهة التفصيل، بينا نراه في جانب الحديث عن النفي لا يتوسع ولا يذكر إلا ما يقتضي المقام ذكره في الرد على مخالفيه.. وذلك على عكس ما ارتآه المعتزلة حين زعموا أن التوحيد المطلق وتنزيه الله يقتضي القول بوحدة الذات الإلهية وبساطتها من كل وجه، وأن هذا يقتضي بدوره لديهم نفي الصفات لكونها بزعمهم غير الذات ومؤذن بتعدد القدماء.. ورأينا كيف أداهم هذا الفهم الخاطئ للتنزيه إلى نفي كل ما أثبته تعالى لنفسه.

ونضيف هنا أن الحديث عن علاقة الصفات بالذات على هذا النحو المفضي إلى الكيف، أداهم كذلك - ومن سار على دربهم من متأخري الأشاعرة ومدعي الانتساب إلى الأشعري حتى يومنا هذا وهو منهم براء - إلى التفصيل في نعوت السلب.. ومما ذكروه في هذا ونقله عنهم الإمام الأشعري في مقالات الإسلاميين ص ١٥٥، ١٥٦ قولهم: «إن الله واحد.. ليس بجسم ولا شبح ولا جثة، ولا صورة ولا لحم ولا دم، ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ولا بذي لون ولا طعم ولا رائحة ولا مجسة ولا بذي حرارة ولا برودة.. إلخ»، فعطلوا بنفيهم المفصل هذا سائر صفاته وأسمائه وأفعاله، وعلى ما سبق عقَّب الأشعري بقوله: «فهذه جملة قولهم في التوحيد، وقد شاركهم في هذه الجملة الخوارج وطوائف من المرجئة وطوائف من الشيعة، وإن كانوا للملة التي يظهرونها ناقضين ولها تاركين».

وقد مر بنا ما به تقام الحجة على أن مثل هذه الطريقة في التفصيل في نعوت السلب، مخالفة لما كان عليه سلف الأمة وتابعيهم بإحسان، وأن غاية وأقصى ما جاء عن أبي الحسن الأشعري - رحمه الله - في (الإبانة) ص ٥٠ إبَّان تفصيله لصفة استوائه تعالى، أنه سبحانه «فوق العرش، وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات عن العرش، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد».

ومما قاله القاسمي ت ١٣٣٢في (محاسن التأويل) ص ٤٦٤ لبيان أن ترك النفي المفصل في توحيد الصفات هي المذهب الأوسط الذي ارتضاه سلف الأمة، وقد أفاده من رد الدارمي على المريسي: «ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذوات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله، فيعطلون أسماءه الحسنى وصفاته العليا، ويحرِّفون الكلم عن مواضعه، ويلحدون في أسماء الله وآياته.. وكل واحد من فريق التعطيل والتمثيل هو جامع بين التعطيل والتمثيل.

أما المعطلون: فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات فجمعوا بين التمثيل والتعطيل، مثلوا أولاً وعطلوا آخراً، وهذا تشبيهٌ وتمثيلٌ منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم، وتعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة به، فإنه إذا قال القائل: (لو كان الله فوق العرش للزم إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساوياً، وكل ذلك محال) ونحو ذلك من الكلام، فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبته لأيِّ جسم كان على أيِّ جسم كان، وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم، أما استواء يليق بجلال الله ويختص به فلا يلزمه شيء من اللوازم الثلاثة كما يلزم سائر الأجسام.. وصار هذا مثل قول الممثل: (إذا كان للعالم صانع فإما أن يكون جوهراً أو عرضاً، إذ لا يعقل موجود إلا هذان)، أو قوله: (إذا كان مستوياً على العرش فهو مماثل لاستواء الإنسان على السرير أو الفلك، إذ لا يُعلم الاستواء إلا هكذا)، فإن كليهما مثَّل، وكلاهمًا عطل حقيقة ما وصف الله به نفسه، وامتاز الأول بتعطيل كل مسمى للاستواء الحقيقي، وامتاز الثاني بإثبات (استواء) هو من خصائص المخلوقين».

يقول القاسمي: «والقول الفاصل: هو ما عليه الأمة الوسط من أن الله مستو على عرشه استواءً يليق بجلاله ويختص به، فكما أنه موصوفٌ بأنه

Upload by: altawhedmag.com

بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير ونحو ذلك، ولا يجوز أن نثبت للعلم والقدرة خصائص الأعراض التي لعلم المخلوقين وقدرهم، فكذلك هو سبحانه فوق العرش ولا نثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق ولوازمها، واعلم أنه ليس في العقل الصحيح ولا في النقل الصحيح ما يُوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلاً».

وكان من المفترض على من ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري من الخلف - السابقين منهم واللاحقين- أن يلهجوا بما لهج به شيخهم وبما لهج به غيره من أئمة السلف، بدلاً من أن يلهجوا بما لهج به أهل الاعتزال الذين رد- رحمه الله - قولهم.. وقد أداهم عدم فهم مراده لهذا الأصل، ومخالفة منهجه وطريقته فيه، إلى أن يذهبوا إلى نفس المصير الذي آل إليه أمر المعتزلة الذي رفضه - رحمه الله - بالكلية، أعني إلى النفي المفصل، وذلك بعد قصرهم الصفات على سبع - يعني بزيادة أربع صفات على ما قال به المعتزلة وتعطيل وتأويل ما عداها مما أثبته الأشعري نفسه ولم يعطله ولا تأوله - ولأن يقولوا - كما جاء في شرح البيجوري على الجوهرة ص ١٠٥ - بأن الله تعالى «ليس فوق العرش ولا تحته ولا عن يمينه ولا عن شماله و.. ليس له فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال».

ويعني هذا النفي المستقى من كلام الجهمية والمعتزلة ومن هم على طريقتهم ومنهجهم في فهم الصفات من متأخري الأشاعرة، تكذيبَ ما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم.. فلقد تكرر في القرآن المجيد ذكر الفوقية والعلو والاستواء، بما يدل دلالة صريحة على أنه تعالى هو «العلي بالذات، والعلو صفته اللائقة به، كما أن السفول والانحطاط ذاتي للأكوان عن رتبة ربوبيته وعظمته وعلوه»، على حد عبارة الإمام الجويني في رسالته عن الاستواء والفوقية ص ٥٤ ونقلها عنه الألباني في مختصر العلو ص ٧٦.. وقد رأينا حال من مال عن هذه الطريقة وآثر عليها طريقة الخلف كيف أفضى به ذلك إلى نفي ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم، وكيف أداه إلى تعطيل صفات الله تعالى.

كلمة ختامية:

وبعد: فإنه من خلال ما سبق يتبين أن الأصول التي اتكأ عليها إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعري بعد أن هداه الله إليها، أصول سليمة لفهم نصوص القرآن والسنة، سواء فيما يخص موضوع بحثنا أم غيره، والمقتفي خطاها لا شك متبع لطريق الهدى والرشاد، كما أنها تمثل ما صار إليه الأشعري أخيراً بعد عودته إلى مذهب السلف الذي أعلن عنه في (الإبانة) و(رسالة أهل الثغر) و(المقالات) و(اللمع).

لكن تلامذته والمنتسبين إليه من بعده، طوروا مذهبه وخالفوا ما كان عليه، وصاروا يسلكون منهجاً يخالف منهجه السالف الذكر.. وكان من الواجب أن يراعوا ما عرَّض به بحق مخالفي مذهبه من أهل الكلام سواء كانوا من أهل زمانه أم ممن جاءوا بعده.. إذ نراه يعلن تخليه عن طريقتهم جميعاً في قصرهم الصفات على سبع وتأويل ما عداها، كما نراه يعلن إثبات جميع ما أثبته الله ورسوله بأصوله الجديدة التي ذكرناها له آنفاً.

بيد أنا - وهذا من شديد ما يؤسف له - نرى الكثير ممن يدّعون الانتماء إلى الأشعري لا يعوِّل على طريقته الصحيحة تلك، ولا يريدون استيعاب ما ثبت عليه السلف.. وأصبح المنادي فيهم سلفاً وخلفاً، هو كمن قال الشاعر بحقه:

لقد أسمعت إذ ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادي

على أن تفاصيل ما أمكن إجماله هنا مما سنح به الوقت والجهد.. من ذكر ما مر به الأشعري من مراحل، وتوثيق ما قام بتأليفه في نهاية حياته، وإزالة ما علق بمعتقده الذي ختم به حياته من شبهات، وكذا ما يستلزمه القول ويقتضيه جراء القول بتأويل الصفات أو القول فيها بتفويض معانيها.. لكونه يحتاج إلى مزيد بيان، فقد جاء مؤلفنا الذي بعنوان: (صحيح معتقد أبي الحسن الأشعري في توحيد الصفات)، موفياً - فيما نحسب - للغرض.. وهو - لمن أراد الوقوف على هذه الجزئيات - من مطبوعات دار اليسر، كما أنه يوجد وكتب أخرى ذات صلة بنفس الموضوع على موقع (صيد الفوائد).. والله نسأل أن يجعلنا ممن يبغون الحق فيصيبونه، وممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.. وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

Upload by: altawhedmag.com

دراسات قرآنية

الأمثال في القرآن

الحلقة العاشرة

إعداد/ مصطفى البصراتي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

ففي هذا المقال نتحدث عن مثل آخر من الأمثال في القرآن، وهو من سورة آل عمران، الآية التاسعة والخمسون، والآية الستون، قال الله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ) [آل عمران: ٥٩- ٦٠].

المعنى الإجمالي:

يقول جل وعلا (إن مثل عيسى عند الله) في قدرة الله حيث خلقه من غير أب (كمثل آدم) حيث خلقه من غير أب ولا أم ، بل (خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)، فالذي خلق آدم من غير أب قادرٌ على أن يخلق عيسى بطريق الأولى والأحرى، وإن جاز ادعاء البنوة في عيسى؛ لكونه مخلوقًا من غير أب، فجواز ذلك في آدم بطريق الأولى.

ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل، فدعواه في عيسى أشد بطلانًا، وأظهر فسادًا، ولكن الرب جل جلاله أراد أن يُظهر قدرته لخلقه حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى، ولهذا قال تعالى في سورة مريم: (ولنجعله آية للناس) وقال هاهنا: (الحق من ربك فلا تكن من الممترين) أي: هذا هو القول الحق في عيسى الذي لا محيد عنه ولا صحيح سواه، وماذا بعد الحق إلا الضلال) (انظر: تفسير ابن كثير (١/٣٦٨)، ط:دار الفكر).

المعنى المفصل

قوله تعالى: «إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ » [آل عمران: ٥٩].

قوله تعالى: «إن مثل عيسى» جملة مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها تعلقًا صناعيًا بل معنويًا، وقال الطاهر ابن عاشور (في التحرير والتنوير ٣/٢٦٣): «استئناف بياني بُيِّن به ما نشأ من الأوهام عند النصارى عن وصف عيسى بأنه كلمة من الله فضلوا بتوهمهم « ا.هـ فأراد الله أن يزيل هذا التوهم من نفوسهم فضرب لهم هذا المثل.

- وقوله تعالى: «كمثل آدم» قال صديق حسن القنوجي في فتح البيان (١/٤٧٧): «كمثل آدم» في الخلق والإنشاء تشبيه عيسى بآدم في كونه مخلوقًا بغير أب كآدم ولا يقدح في التشبيه اشتمال المشبه به على زيادة وهو كونه لا أم له كما أنه لا أب له، فذلك أمر خارج عن المراد بالتشبيه وإن كان المشبه به أشد غرابة من المشبه وأعظم عجبًا وأغرب أسلوبًا، وعبارة الكرخي هو تشبيه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأوقع في النفس، « ا.هـ

فائدة: قال الماوردي في «أمثال القرآن» (ص١٦٨): وفي الآية دليل على جواز التمثيل، ورد الشيء إلى نظيره في القياس، وإن قل التشابه بينهما.

وقال ابن عثيمين في تفسيره لسورة آل عمران (١/٣٥١) في قوله تعالى: «إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ » [آل عمران: ٥٩]، يعني شأنه- أي شأن عيسى- عند الله عز وجل من غير أب ولا أم- والنصارى يؤمنون بهذا- فما بال النصارى يقولون: كيف خلق الله عيسى بلا أب؟! ما هو إلا ابنه، نعوذ بالله. فقالوا ابن الله جزء منه، ولم يقولوا: إن آدم ابن الله مع أنه لو كان أحد يدعي البنوة في أحد من البشر لكان الأحق بها آدم، لأنه ليس له أم ولا أب.. أما عيسى فله أم، والأم أحد الوالدين فإذا كنا نقول: لا يمكن أن يوجد أحد من أب بلا أم، أو من أم بلا أب ؟! فلنقل: ولا أحد يوجد بدون أم ولا أب، فأنتم أيها النصارى أقررتم بأن آدم ليس ابنًا لله فيلزمكم أن تقروا بأن عيسى ليس ابنًا لله، لأن مثل عيسى كمثل آدم.

Upload by: altawhedmag.com

«خلقه من تراب»

خلقه يعني ابتدأ خلقه من تراب، وضمير المفعول في «خلقه» يعود على آدم لأنه مخلوق من التراب، خلقه أي: خلق آدم من تراب، «ثم قال له كن فيكون»، ابتدأ خلقه ثم قال: كن، والأمر هذا لتمام الخلق، وإنما قلنا ذلك لئلا يقول قائل: كيف تكون كلمة: «كن» بعد الخلق؟ لأن الترتيب العقلي يقتضي أن تكون كلمة «كن» قبل الخلق، كن فكان؟

فنقول: إن معنى خلقه أي: ابتدأ خلقه من تراب ثم قال له: كن بشرًا فكان بشرًا، وهل هذا القول: «كن» قدر كوني أو قدر شرعي، والجواب: أنه قدري، والقول القدري لا يتخلف عنه المقول، لأنه أمر حتمي بخلاف القول الشرعي، فإن من الناس من يستكبر عنه ، يقول الله: « وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ » [البقر: ٤٣]، فيقول: لا، لا أقيم الصلاة. أما القول الكوني فإنه لا مرد له: «كن فيكون»، ولم يقل: فكان، على حكاية الحال يعني لما قال: كن فعلا شرع بالكينونة حتى تمت. اهـ.

فائدة: قال القرطبي: دلت هذه الآية على صحة القياس والتشبيه واقع على أن عيسى خُلق من غير أب كآدم، لا على أنه خلق من تراب، والشيء قد يُشبَّه بالشيء- وإن كان بينهما فرق كبير بعد أن يجتمعا في وصف واحد».ا.هـ.

فائدة: قال الإمام الطبري في تفسيره (٣٢١/٣): «فإن قال قائل: فكيف قال: «كمثل آدم خلقه»، وآدم معرفة، والمعارف لا توصل؟ قيل: إن قوله: «خلقه من تراب» غير صلة لآدم، وإنما هو بيان عن أمر على وجه التفسير عن المثل الذي ضربه، وكيف كان .

وقوله تعالى: «ثم قال له كن فيكون»، فإنما قال: «فيكون» وقد ابتدأ الخبر عن خلق آدم، وذلك خبر عن أمر تقضى.

وقد أخبر الخبر عنه مخرج الخبر عما قد مضى، فقال جل ثناؤه: « خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ » [آل: ٥٩]، لأنه بمعنى الإعلام من الله نبيه أن تكون فيه الأشياء بقوله: «كن»، ثم قال: «فيكون» خبر مبتدأ، وقد تناهى الخبر عن أمر آدم عند قوله: «كن»، فتأويل الكلام إذن: « إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ » [آل عمران: ٥٩].

واعلم يا محمد أن ما قال له ربك: كن فهو كائن.

فلما كان في قوله: «كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون». دلالة على أن الكلام به إعلام نبي الله صلى الله عليه وسلم وسائر خلقه أنه كائن ما كونه ابتداءً من غير أصل ولا أول ولا عنصر، استغنى بدلالة الكلام عن المعنى، وقيل: «فيكون». فعطف بالمستقبل على الماضي على ذلك المعنى، وقد قال أهل العربية: فيكون على الابتداء، ومعناه: كن فكان، فكأنه قال: فإذا هو كائن « ا.هـ من تفسير الطبري.

الفوائد [مستفادة من تفسير ابن عثيمين لسورة آل عمران ٣٥٢/١]:

١- في هذه الآية: «إن مثل عيسى...» بيان إقامة الحجة بمثل ما يحتج به الخصم، لأنه أقام الحجة على النصارى بمثل ما احتجوا به، فقال: إذا قلتم: إن عيسى ابن الله، لأنه خلق بلا أب، فقولوا إن آدم ابن الله، وإلا فأنتم متناقضون.

٢- بيان قدرة الله تعالى حيث خلق آدم من غير أم ولا أب وخلق عيسى من أم بلا أب، وهناك أيضا صنفان آخران من خلق من أب بلا أم وهي حواء، ومن خلق بين أب وأم وهم سائر البشر.

٣- إثبات القياس، من أين يؤخذ «كمثل آدم»، وكل مثل مضروب في القرآن فإنه دليل على ثبوت القياس، لأنه إلحاق المورد بالمضروب، يعني أنك ألحقت الممثل بالممثل به.

٤- إثبات القول للرب عز وجل، لقوله: «ثم قال له».

٥- أن قول الله بصوت مسموع، وبحروف مرتبة، لقوله: «قال له كن»، فسيسمع هذا القول بحرف مرتب.

٦- إثبات صفة الخلق لله (خلقه) والخلق صفة ذاتية أو فعلية؟ فعلية، من الصفات الفعلية لكن جنس الصفات الفعلية ذاتية، لأن الله لم يزل ولا يزال فعّالاً.

٧- أن الله تعالى لا يصدر منه إلا الحق «الحق من ربك».

٨- النهي عن الشك فيما أخبر الله به لقوله: «فلا تكن من الممترين».

٩- جواز التعريض، أو جواز المخاطبة بالتعريض لأن قوله: «فلا تكن من الممترين»، لا يعني أن الرسول يمكن أن يكون منهم ، بل هو تعريض بهؤلاء وأنهم ذوو خلق سيئ، فلا تكن منهم ، وإن كان هو ليس منهم لا باعتبار الواقع ولا المستقبل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

أحكام الصلاة

الحلقة الثانية

صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم

قراءة السورة بعد الفاتحة

إعداد/ د. حمدي طه

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

بدأنا في العدد السابق الحديث عن قراءة السورة بعد الفاتحة وتكلمنا عن حكمها وبينا أن الراجح قول جمهور الفقهاء باستحباب قراءتها ، ونكمل في هذا العدد تناول ما يتعلق بها من بحوث.

ثانيا: مقدار القراء بعد الفاتحة:

بعد أن اتفق الجمهور علي استحباب قراءة السورة بعد الفاتحة؛ فقد اختلفوا في القِرَاءَة الَّتِي يَحْصُل بِهَا أَصْل السُّنَّة، فَذَهَبَ الْمَالِكِيَّةُ إِلَى حُصُول السُّنَّة بِقِرَاءَةِ مَا زَادَ عَلَى الْفَاتِحَةِ، وَلَوْ آيَةً - سَوَاءٌ كَانَتْ طَوِيلَةً أَمْ قَصِيرَةً كَـ«مُدْهَامَّتَانِ»، كَمَا تَحْصُل السُّنَّةُ بِقِرَاءَةِ بَعْضِ آيَةٍ عَلَى أَنْ يَكُونَ لَهَا مَعْنًى تَامٌّ فِي كُل رَكْعَةٍ بِانْفِرَادِهَا، وَالْمُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ سُورَةً كَامِلَةً.

وَذَهَبَ الشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ إِلَى حُصُول السُّنَّةِ بِقِرَاءَةِ آيَةٍ وَاحِدَةٍ، وَاسْتَحَبَّ الإِْمَامُ أَحْمَدُ أَنْ تَكُونَ الآْيَةُ طَوِيلَةً: كَآيَةِ الدَّيْنِ وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ لِتُشْبِهَ بَعْضَ السُّوَرِ الْقِصَارِ. قَال الْبُهُوتِيُّ: وَالظَّاهِرُ عَدَمُ إِجْزَاءِ آيَةٍ لاَ تَسْتَقِل بِمَعْنًى أَوْ حُكْمٍ نَحْوَ «ثُمَّ نَظَرَ»، أَوْ «مُدْهَامَّتَانِ». (الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٧/٨٩).

والأصح من ذلك أنه ليس لقراءة ما تيسر من القرآن مقدار معلوم، فالسنة تحصل بقراءة أي قدر من القرآن الكريم يحصل به معنى ، فهي تحصل بقراءة آية واحدة، وبقراءة آيتين، وبقراءة ثلاث آيات، كما تحصل بقراءة سورة قصيرة مثل سورة [قل يا أيها الكافرون] (الجامع لأحكام الصلاة، محمود عبد اللطيف عويضة ٢/٢٢١).

ثالثا: هدي النبي صلى الله عليه وسلم في القراءة في الصلاة:

أما ما كان يقرؤه صلى الله عليه وسلم في الصلوات من السور والآيات فإن ذلك يختلف باختلاف الصلوات الخمس وغيرها، وهناك تفصيل ذلك سالكين في ذلك مسلك وسط بين من ذكرها تفصيلاً بأدلتها وبين من ذكرها إجمالا دون ذكر أدلتها أو الاقتصار علي بعضها، فنذكر ما قرأه النبي صلى الله عليه وسلم في كل صلاة إجمالاً وموضعه من كتب السنة مقتصرين على ما صح منها، وقد اعتمدت في التصحيح علي ما أثبته العلامة ناصر الدين الألباني في كتابه صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم نذكر أدلة بعض هذه السور والتي نحتاج إليها في الاستدلال علي أحكام معينة مبتدئين بالصلاة الأولى من الخمس:

١- صلاة الصبح:

قرأ النبي صلى الله عليه وسلم فيها المعوِّذتين في السفر (رواه أبو داود وابن خزيمة)، وقرأ فيها سورة الزلزلة في الركعتين كلتيهما (رواه أبو داود والبيهقي)، وقرأ فيها سورة التكوير (رواه مسلم وأبو داود) وقرأ فيها سورة الواقعة (رواه النسائي وأحمد)، وقرأ فيها سورة الطور وذلك في حجة الوداع (رواه البخاري ومسلم) وقرأ فيها بسورة الروم (رواه النسائي وأحمد) وقرأ فيها بسورة يس (رواه أحمد)، وقرأ فيها سورة الصافات (رواه أحمد وأبو يعلى)، وقرأ فيها سورة الفتح (رواه عبد الرزاق في مصنفه)، وقرأ فيها ببعض سورة المؤمنون (رواه مسلم)، وكان كان يقرأ فيها بـ«ق والقرآن المجيد» ونحوها (رواه أحمد ومسلم)، وكان يقرأ بأكثر من ذلك فكان يقرأ ستين آية فأكثر) (رواه البخاري ومسلم)، وكان يقرأ فيها يوم الجمعة بالسجدة [في الركعة الأولى وفي الثانية بالإنسان]. (رواه البخاري ومسلم).

٢- صلاة الظهر:

قرأ النبي صلى الله عليه وسلم فيها سور (الطارق والبروج ونحوهما من السور) (رواه أبو داود والترمذي)، وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم فيها سور الغاشية والأعلى (رواه ابن خزيمة في صحيحه)، وقرأ فيها سورة: (إذا السماء انشقت ونحوها) (رواه ابن خزيمة في صحيحه)، وكان يقرأ فيها قَدْرَ ثَلاَثِينَ آيَةً فِي الرَّكْعَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ وفي الأُخْرَيَيْنِ قَدْرَ النِّصْفِ مِنْ ذَلِكَ (رواه أحمد ومسلم)، وَكَانَ يُطَوِّلُ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى مَا لاَ يُطَوِّلُ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ. (رواه البخاري).

Upload by: altawhedmag.com

٣- صلاة العصر:

قرأ النبي صلى الله عليه وسلم فيها سور(الطارق والبروج ونحوهما من السور) (رواه أبو داود والترمذي)، و(كان يقرأ في الظهر بالليل إذا يغشى، وفي العصر نحو ذلك)، وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم فيها سور الغاشية والأعلى. (السلسلة الصحيحة للألباني ١١٦٠)، وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم في العصر في الركعتين الأوليين في كل ركعة قدر خمس عشرة آية، وفي الأخريين قدر نصف ذلك (رواه أحمد ومسلم).

٤- بخصوص صلاة المغرب:

قرأ النبي صلى الله عليه وسلم فيها بقصار المُفصَّل (رواه البخاري ومسلم)، وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم فيها (قل يا أيها الكافرون) و(قل هو الله أحد) (رواه البغوي شرح السنة).

و قرأ النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالطور (رواه البخاري ومسلم)، وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم فيها بسورة محمد (رواه الطبراني في المعجم « الصغير وفي « الكبير وابن حبان في صحيحه)، وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالأعراف. (رواه البخاري). و(قرأ في سفر بسورة والتين والزيتون في الركعة الثانية) (رواه أحمد بسند صحيح)، وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم بسورة المرسلات قرأ بها في آخر صلاة صلاها صلى الله عليه وسلم. (رواه البخاري ومسلم).

٥ - صلاة العشاء:

كان صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين الأوليين من وسط المفصل (فكان يقرأ ب والشمس وضحاها وأشباهها من السور) (رواه أحمد والنسائي والترمذي)، وقرأ فيها النبي صلى الله عليه وسلم سورة الانشقاق.(رواه البخاري ومسلم).و (قرأ فيها النبي صلى الله عليه وسلم في سفر بسورة التين والزيتون [في الركعة الأولى]) (رواه البخاري ومسلم).

ونهى عن إطالة القراءة فيها، وأمر معاذاً بالسور من وسط المُفَصَّل، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فاقرأ بسبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى، واقرأ باسم ربك (رواه البخاري ومسلم)، وزاد مسلم: (أنه أمره بقراءة اقرأ باسم ربك الذي خلق، وفي رواية أخرى لمسلم (أنه أمره بقراءة الضحى) وزاد النسائي (وإذا السماء انفطرت) وفي رواية ابن حبان بزيادة: (والسماء ذات البروج والسماء والطارق).

فائدة في معنى المفصل:

سُمي مفصلاً لكثرة الفواصل بين سوره ببسم الله الرحمن الرحيم، وذلك لقصرها. (شرح الزاد للحمد ٥١/٥) والمُفَصَّل ثلاثة أقسام، منه طِوال، ومنه قصار، ومنه وسط.

وَاخْتُلِفَ فِي الْمُرَادِ بِالْمُفَصَّلِ مَعَ الاتِّفَاقِ عَلَى أَنَّ مُنْتَهَاهُ آخِرُ الْقُرْآنِ؛ فَذَهَبَ الْحَنَفِيَّةُ إِلَى أَنَّ طِوَالَ الْمُفَصَّلِ مِنَ (الْحُجُرَاتِ) إِلَى (الْبُرُوجِ)، وَالأَوْسَاطَ مِنْهَا إِلَى (لَمْ يَكُنْ)، وَالْقِصَارَ مِنْهَا إِلَى آخِرِ الْقُرْآنِ.

وَعِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ طِوَالُ الْمُفَصَّلِ مِنَ (الْحُجُرَاتِ) إِلَى (النَّازِعَاتِ)، وَأَوْسَاطُهُ مِنْ (عَبَسَ) إِلَى (الضُّحَى)، وَقِصَارُهُ مِنَ (الضُّحَى) إِلَى آخِرِ الْقُرْآنِ.

وَقَال الشَّافِعِيَّةُ: طِوَالُ الْمُفَصَّلِ كَالْحُجُرَاتِ وَاقْتَرَبَتْ وَالرَّحْمَنُ، وَأَوْسَاطُهُ كَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَاللَّيْل إِذَا يَغْشَى، وَقِصَارُهُ كَالْعَصْرِ وَقُل هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ.

وَذَهَبَ الْحَنَابِلَةُ إِلَى أَنَّ أَوَّل الْمُفَصَّل سُورَةُ ق، لِحَدِيثِ أَوْسِ بْنِ حُذَيْفَةَ قَال: «سَأَلْتُ أَصْحَابَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ يُحَزِّبُونَ الْقُرْآنَ؟ قَالُوا: ثَلاَثٌ وَخَمْسٌ، وَسَبْعٌ، وَتِسْعٌ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ، وَثَلاَثَ عَشْرَةَ، وَحِزْبُ الْمُفَصَّل وَحْدَهُ». قَالُوا: وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ أَوَّل الْمُفَصَّل السُّورَةُ التَّاسِعَةُ وَالأَرْبَعُونَ مِنْ أَوَّل الْبَقَرَةِ لاَ مِنَ الْفَاتِحَةِ. (الموسوعة ٤٩/٣٣).

وما ذهب إليه الحنابلة هو الراجح، وصححه الحافظ في الفتح. ويدل عليه: ما ثبت في سنن أبي داود وابن ماجه ومسند أحمد والحديث إسناده حسن من حديث أوس بن حذافة الثقفي قال: سألت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: كيف يحزبون القرآن؟ فقالوا: (ثلاث ثم خمس ثم سبع ثم تسع ثم إحدى عشر ثم ثلاث عشرة ثم المفصل) ويتم العدد المتقدم وهو عدد ثلاث مع خمس مع سبع وتسع وإحدى عشر وثلاث عشر فيتم بما دون سورة «ق»، فيكون شروع المفصل بسورة «ق»، فهو الحزب السابع من أحزاب القرآن. (شرح الزاد للحمد ٥١/٥).

٦ - صلاة الجمعة:

قرأ النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الجمعة في الركعة الأولى بسورة الجمعة وفي الأخرى: إذا جاءك المنافقون. (رواه الجماعة إلا البخاري والنسائي)، وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم فيها في الركعة الأولى بسورة الجمعة وفي الأخرى: هل أتاك حديث الغاشية (رواه الجماعة إلا البخاري والترمذي)، وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم فيها في الركعة الأولى بسورة (سبح اسم ربك الأعلى وفي الثانية: هل أتاك) (رواه أحمد والنسائي وأبو داود).

٧ - صلاة العيدين:

قرأ النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة العيد في الأولى سبح اسم ربك الأعلى وفي الأخرى: هل أتاك) (رواه الجماعة إلا البخاري وابن ماجه)، وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم فيها بسورة ق وسورة القمر. (رواه الجماعة إلا البخاري).

وللحديث بقية إن شاء الله.

Upload by: altawhedmag.com

عوامل الصبر والثبات

العامل الرابع: الشعور بالمسئولية

المستشار أحمد السيد علي

الحمد لله حمدًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على عبده ورسوله الذي اصطفاه على جميع أنامه، وعلى زوجاته الطاهرات، وعلى أصحابه الغر الميامين المتبعين لهديه في كل أحكامه.

وبعد، فما يزال الحديث موصولاً عن عوامل الصبر والثبات، ونعيش بمشيئة الله تعالى مع العامل الرابع ألا وهو: الشعور بالمسئولية.

أولاً: معنى الشعور بالمسئولية:

ورد الشعور بالمسئولية في القرآن والسنة في مواضع عدة منها قوله تعالى: « فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ» (الأعراف ٦)، وقال سبحانه: « فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ» (الحجر ٩٢)، وقال جل وعلا: « وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ» (النحل ٥٦)، وقال تبارك وتعالى: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » (النحل ٩٣)، وقال سبحانه: « وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا» (الإسراء ٣٤)، وقال تعالى: « وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا» (الإسراء ٣٦)، وقال جل في علاه: « لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ» (الأنبياء ٢٣)، وقال سبحانه: « وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ» (الصافات ٢٤) وقال: « وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ» (الزخرف ١٩)، وقال تعالى: « ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ» (التكاثر ٨).

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه سَمِعَ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يقولُ: كلُّكم راعٍ ومسئولٌ عن رعيتِه، فالإمامُ راعٍ وهو مسئولٌ عن رعيتِه، والرجلُ في أهلِه راعٍ وهو مسئولٌ عن رعيتِه، والمرأةُ في بيتِ زوجِها راعيةٌ، وهي مسئولةٌ عن رعيتِها، والخادمُ في مالِ سيدِه راعٍ وهو مسئولٌ عن رعيتِه. قال: فسَمِعتُ هؤلاءِ من رسولِ الله صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم، وأحسَبُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: والرجلُ في مالِ أبيهِ راعٍ، وهو مسئولٌ عن رعيتِه، فكلكم راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رعيتِه) (رواه البخاري ٨٩٣) .

وعن أبى برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم (لا تزول قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يسألَ عن عمرِه فيما أفناهُ، وعن علمِه فيمَ فعل، وعن مالِه من أينَ اكتسبَهُ وفيمَ أنفقَهُ، وعن جسمِه فيمَ أبلاهُ) (رواه الترمذي ٢٤١٧ وحسنه الألباني).

وعن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما قال: لما نزلت: (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) قال الزُّبَيْرُ: أي رَسولَ اللَّه، معَ خصومَتِنا في الدُّنيا؟ قال: نعَم ولمَّا نزلت: (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) قال الزُّبَيْرُ: أي رَسولَ الله، أيُّ نعيمٍ نسألُ عنهُ، وإنَّما يعني هُما الأسوَدانِ: التَّمرُ والماءُ؟ قال: أما إنَّ ذلكَ سيَكونُ) (رواه أحمد ١٤٠٥ وحسنه الوادعي).

فالمسلم حينما يعلم أنه مسئول أمام الله عز وجل عن نفسه وعن رعيته فلابد أن يصبر

Upload by: altawhedmag.com

على ما أصابه ويثبت على دين الله تعالى.

ثانياً: الصبر على الطاعات:

ومن أعظم الأمثلة التي ضربها الحق تبارك وتعالى على الشعور بالمسئولية كعامل من عوامل الصبر على الطاعة قوله تعالى: «وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا» (النساء ٩)، فإن المسلم إذا شعر بالمسئولية تجاه ذريته فلابد أن يصبر على طاعة الله بملازمة تقواه والقول السديد، قال القرطبي في تفسيره: (وقالت طائفة: المراد جميع الناس، أمرهم باتقاء الله في الأيتام وأولاد الناس؛ وإن لم يكونوا في حجورهم. وأن يسددوا لهم القول كما يريد كل واحد منهم أن يُفعل بولده بعده. ومن هذا ما حكاه الشيباني قال: كنا على قسطنطينية في عسكر مسلمة بن عبدالملك، فجلسنا يومًا في جماعة من أهل العلم، فيهم ابن الديلمي، فتذاكروا ما يكون من أهوال آخر الزمان. فقلت له: يا أبا بشر، وددت ألا يكون لي ولد. فقال لي: ما عليك! ما من نسمة قضى الله بخروجها من رجل إلا خرجت، أحب أو كره، ولكن إذا أردت أن تأمن عليهم فاتق الله في غيرهم؛ ثم تلا الآية.

وفي رواية: ألا أدلك على أمر إن أنت أدركته نجاك الله منه، وإن تركت ولدًا من بعدك حفظهم الله فيك؟ فقلت: بلى! فتلا هذه الآية «وليخش الذين لو تركوا» إلى آخرها.

قلت: ومن هذا المعنى ما روى محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أحسن الصدقة جاز على الصراط، ومن قضى حاجة أرملة أخلف الله في تركته) اهـ، وقد فهم هذا المعنى سلفنا الصالح فصبروا على الطاعة لشعورهم بالمسئولية تجاه أبنائهم فقد ذكر ابن رجب الحنبلي في كتابه جامع العلوم والحكم أن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال لابنه: (لأزيدن في صلاتي من أجلك، رجاء أن أُحْفَظ فيك، ثم تلا هذه الآية «وكان أبوهما صالحا».) اهـ. [تفسير القرطبي ٥/٥١].

وانظر أخي الحبيب إلى حال بعض المسلمين ممن لم يصبروا على الطاعة بالرغم من المسئولية الملقاة على عاتقهم، فتجدهم يرتشون ويختلسون للإنفاق على أبنائهم، حتى صارت الرشوة ديدنهم في أعمالهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثالثاً: الصبر على النعم الذي يورث الزهد فيها:

وقد كان الشعور بالمسئولية عاملاً من عوامل صبر سلفنا الصالح على نعم الله عز وجل ومما يدل على ذلك ما يلي:

١- ما رواه ابن الجوزي في «تاريخ عمر بن الخطاب» عن قتادة رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبطأ عن الناس يوم الجمعة، قال: ثم خرج فاعتذر إليهم في احتباسه، وقال: (إنما حبسني غسل ثوبي هذا، كان يُغسل ولم يكن لي ثوب غيره).

٢- ما رواه مالك في (الموطأ) عن جابر بن عبدالله قال: رأى عمر بن الخطاب لحماً معلقاً بيدي، فقال: ما هذا يا جابر؟ قلت: اشتهيت لحماً فاشتريته. فقال: أو كلما اشتهيتَ اشتريتَ يا جابر! أما تخاف هذه الآية: «أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا» اهـ.

٣- ما رواه أحمد في الزهد عن حذيفة رضي الله عنه قال: (أقبلت فإذا الناس بين أيديهم القصاع، فدعاني عمر فأتيته فدعا بخبز غليظ وزيت. قال: فقلت له: أمنعتني أن آكل من الخبز واللحم، ودعوتني على هذا؟! قال: أنا دعوتك على طعامي، فأما هذا فطعام المسلمين) اهـ.

فانظر أخي الحبيب إلى صبر عمر على النعم لشعوره بالمسئولية الملقاة على عاتقه تجاه أمته، وقارن بينه وبين ما يفعله بعض المسلمين الآن إذا ما ولاه الله شيئًا من أمر المسلمين تراه لا يعبأ بهم، ولا بأموالهم حتى تصبح أموالهم كلأ مباحًا له ولحاشيته. نعوذ بالله من ذلك، ونسأله سبحانه أن يهدينا لأفضل الأقوال والأعمال، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

حافظوا على الصلوات

إعداد/ أحمد صلاح

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه والتابعين، أما بعدُ:

فإن العقلاء في كل زمان ومكان على اختلاف أديانهم وأهوائهم يسعون إلى السعادة، لكن السعادة الحقيقية مضمونة بالإيمان والعمل الصالح، قال الله تعالى: « مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ» [النحل: ٩٧]، وأهل الدنيا المضحون بحقوق الله تعالى- وإن رأيتهم ضاحكين فرحين- فسعادتهم مزيفة وأفئدتهم هواء، فذل المعصية لا يفارق قلوبهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه.

إذن فالسعادة في الدارين أساسها العمل الصالح، والذي تاجه ودُرته الصلاة التي فرضها الله على عباده، وجعلها بالفعل خمسًا، وفي الثوب خمسين؛ فضلاً وامتناناً على عباده.

وصية نافعة:

روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «من سرَّه أن يلقى الله غدًا مسلمًا، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتكم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور، ويعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ورفعه الله بها درجة، وحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم نفاقه، ولقد كان الرجل يُؤتى به يُهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف»(رواه مسلم ٦٥٤).

وفي رواية: لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق أو مريض، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا سنن الهدى، إن من سنن الهدى: الصلاة في المسجد الذي يُؤَذَّن فيه. (رواه مسلم ٦٥٤).

ما أجملها من وصية، وما أعظمها من موعظة، فالمساجد مصانع الرجال، وهل فقدت الأمة الريادة إلا لما ضيّعت وأهملت المساجد؟ بعدما

Upload by: altawhedmag.com

أصبحت المساجد تشكو إلى ربها ظلم العباد من هجر وقطيعة، فقدت الرجال الذين يسبّحون الله فيها بالغدو والآصال.

لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم تأسيس الدولة بالمدينة بدأ بالأصل الذي منه المنطلق وفيه التربية وجامعة المسلمين، ألا وهو المسجد، فبنى مسجده المبارك لربط الناس أولاً بربهم.

لقد كان السلف الصالح يحافظون على الصلاة أشد من محافظتهم على أرواحهم، فقد ذكر الذهبي في «السير» أن عامر بن عبد الله بن الزبير رحمه الله سمع المؤذن، وهو مريض يجود بنفسه، فقال: خذوا بيدي إلى المسجد، فقيل: إنك عليل، قال: أسمع داعي الله فلا أجيبه؟! فأخذوا بيده فدخل مع الإمام في صلاة المغرب فركع ركعة ثم مات.

أهمية الصلاة والتحذير من إضاعتها:

جاء الأخلاف من بعد الأسلاف فأضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًا، كما قال الله تعالى: «خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا» [مريم: ٥٩]، قال ابن عباس: ليس معنى أضاعوها أي بالكلية، ولكن أخروها عن وقتها، (أي من غير عذر، كالخوف أو المرض).

ذكر الذهبي في «الكبائر» عن سعيد بن المسيب قال في «إضاعتها»: هو ألا يصلي الظهر حتى يأتي العصر، ولا يصلي العصر إلى المغرب، ولا يصلي المغرب إلى العشاء، ولا يصلي العشاء إلى الفجر، ولا يصلي الفجر إلى طلوع الشمس، فمن مات وهو مُصِرّ على هذه الحالة ولم يتب، وعده الله بغيٍّ، وهو واد في جهنم بعيد قعره، خبيث طعمه، قال الله تعالى في شأن من يؤخرها ويتكاسل عنها: «فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ» [الماعون: ٤- ٥]، قال سعد بن أبي وقاص: هو تأخير الوقت. [رواه أبو يعلى بسند حسن]، فسماهم الله مصلين، لكنهم لما تهاونوا فيها وعدهم بالويل، إلا أن يتوبوا، فكيف بمن تركها بالكلية ولم يعظم فيها حرمة؟!

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- «مَنْ سَمِعَ الْمُنَادِيَ فَلَمْ يَمْنَعْهُ مِنَ اتِّبَاعِهِ عُذْرٌ». قَالُوا وَمَا الْعُذْرُ؟ قَالَ: خَوْفٌ أَوْ مَرَضٌ «لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ الصَّلَاةُ الَّتِي صَلَّى».[سنن أبي داود ٥٥١ وصححه الألباني].

فيا أيها المحب لله ورسوله، إن الصلاة هي أول فريضة بعد التوحيد، قال الله تعالى: «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ» [البينة: ٥].

وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أرسل معاذًا إلى اليمن قال: إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة. [صحيح البخاري ١٤٩٦].

بل إن بين الصلاة والتوحيد مناسبة وعلاقة، يقول المروزي في «تعظيم قدر الصلاة»: لا عمل بعد توحيد الله أفضل من الصلاة لله، لأنه افتتحها بالتوحيد والتعظيم لله والتكبير ثم الثناء على الله وهي قراءة الفاتحة، وهي حمد لله وثناء عليه وتمجيد له ودعاء، وكل ذلك توحيد، ثم الركوع والسجود وما فيها من تسبيح، وختمها بالشهادة له بالتوحيد ولرسوله بالرسالة، وكل ذلك توحيد، ووضع اليمين على الشمال بالانتصاب لله، تذلل له وإذعان بالعبودية.

ومما يدل على تعظيم قدر الصلاة في الإسلام أن الله تعالى قد افترضها على نبينا صلى الله عليه وسلم مباشرة وبدون واسطة ملك الوحي، وذلك حينما عُرج به إلى سدرة المنتهى في السماء السابعة، وكانت خمسين صلاة، ثم خففها الله تعالى إلى أن صارت خمسًا في العمل وخمسين في الثواب.

وهي أول ما يُحاسَب عليه العبد يوم القيامة، ولما كانت كذلك جعلها النبي صلى الله عليه وسلم قرَّة عينه، فهي الدواء من كل داء، والمخرج من كل بلاء، لا سيما في زمان الفتن، فقد أمر الله عباده أن يفزعوا إلى الصلاة ويستعينوا بها على كل أمور دنياهم وأخراهم، فقال الله تعالى: «وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ» [البقرة: ٤٥].

وعن حذيفة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمرٌ صلى. [سنن أبي داود ١٣٢١ وصححه الألباني].

وفي حديث أم سلمة في شأن الفتن: "من يوقظ صواحب الحجرات يقمن فيصلين". [البخاري ٧٠٦٩].

قال الحافظ ابن حجر: فيه دليل على أن الصلاة مخرج من الفتن.

من فضائل المحافظة على الصلاة

ولقد وضع الشرع الحنيف للمبادرة والتبكير

Upload by: altawhedmag.com

إلى الصلاة والمحافظة عليها عدة فوائد ومنافع، منها:

١- من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورًا ولا برهانًا ولا نجاة يوم القيامة. [رواه أحمد ٦٥٧٦ وحسنه الأرناؤوط].

وعن بريدة مرفوعًا: «بشّر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة» [سنن أبي داود ٥٦١ وصححه الألباني].

٢- البراءة من صفات المنافقين؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «إن أثقل صلاة على المنافقين صلاةُ العشاء وصلاةُ الفجر» [صحيح مسلم ٦٥١]، قال الله تعالى في شأن المنافقين: «وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَوٰةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا » [النساء: ١٤٢].

وقال الله تعالى: «إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ» [سورة: ١٨]، فكما أن شهود الصلاة والمحافظة عليها دليل إيمان، فالتخلف عنها وإهمالها دليل نفاق.

٣- ضامن على الله في رزق وكفاية، فقد روى أبو داود عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ثلاثة كلهم ضامن على الله، إن عاش رُزق وكُفي، وإن مات أدخله الله الجنة: من دخل بيته فسلّم فهو ضامن على الله، ومن خرج إلى المسجد فهو ضامن على الله، ومن خرج في سبيل الله فهو ضامن على الله. [صحيح الترغيب والترهيب للألباني ٣٢١].

٤- يُظله الله يوم القيامة تحت العرش، كما في حديث السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله: «ورجل قلبه مُعلق بالمساجد» (رواه البخاري ٦٦٠).

٥- رفع الدرجات وتكفير السيئات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: صلاة الرجل في الجماعة تُضَعَّف على صلاته في بيته، وفي سوقه خمسًا وعشرين درجة، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى الصلاة لا يخرجه إلا الصلاة لم يَخطُ خطوة إلا رُفعت له بها درجة، وحطّ عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه: اللهم صلِّ عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة. [صحيح البخاري ٦٤٧].

٦- أنها سببٌ في فرح الله ورضاه عن عبده، فقد روى ابن خزيمة في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يتوضأ أحدكم فيُحسن وُضوءه فيُسبغه، ثم يأتي المسجد لا يريد إلا الصلاة إلا تبشبش الله إليه كما يتبشبش أهل الغائب بطلعته. [صحيح الترغيب والترهيب للألباني ٣٠٣].

(فأي فضل بعد هذا؟).

٧- أنها سبب للنجاة من النار، لا سيما صلاة الفجر، فعن أبي زُهيرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لن يلج النار أحدٌ صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها. [صحيح مسلم ٦٣٤].

فصلاة الفجر مشهد الملائكة، كما قال الله تعالى: «وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا » [الإسراء: ٧٨]، وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر. [صحيح البخاري ٧٤٢٩].

فالذي ينام عن صلاة الفجر مغبون ومحروم، قد استحوذ عليه الشيطان، وبال في أذنه، ففي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ذُكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقيل: ما زال نائمًا حتى أصبح، ما قام إلى الصلاة!! فقال صلى الله عليه وسلم: بال الشيطان في أذنه. [صحيح البخاري ١١٤٤]، وفي رواية ابن حبان: نام عن الفريضة.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: ومعنى «بال الشيطان في أذنه» قيل: هو على حقيقته، وقاله القرطبي وغيره، وقيل: معناه أن الشيطان استولى عليه واستخف به حتى اتخذه كالكنيف المُعَدّ للبول، إذ من عادة المستخف بالشيء أن يبول عليه.

وهذا جزاءٌ لمن فرَّط في الصلوات ونام عنها، أن جعل نفسه محلاً لبول الشيطان، فمن استخف بالصلوات استخف الشيطان به، لم يكن أهلاً لاحترام الشرع له، إذ كان وصفه كالكنيف الذي هو محل الخبث.

شرفنا الله وإياكم بالصلاة والمحافظة عليها، وأدائها كما يحب ربنا ويرضى، آمين.

Upload by: altawhedmag.com

التحذير من التفريط في وصية النبي صلى الله عليه وسلم

إعداد/ عبد العزيز مصطفى الشامي

الحمد لله رب العالمين، سبحانه وتعالى له الحمد الحسن والثناء الجميل، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

فإن العبد الموفق يحتاج أن يقف مع نفسه وقفات يحاسب فيها نفسه ، ويلقي على ما انقضى من عمره نظرة من أجل العظة والاعتبار، والاستفادة من دروس الماضي ويتزود من تجاربه لما بقي من عمره، فالعاقل من وعظته الأيام وعلّمته الدهور والأعوام، واستفاد من أمسه ليومه ومن يومه لغده.

وإن من أفضل وأهم ما ينبغي للعبد أن يراجع نفسه فيه: الحرص على دينه، واستثمار عمره؛ فهو رأس ماله على الحقيقة، والانتباه لما فرطنا فيه..! فكم من صلاة ضيعناها! وكم من رحم قطعناها! وكم من ذنوب ارتكبناها، وكم هجرنا كتاب ربنا، تلاوةً وسماعًا وتدبرًا وحكمًا وتحكيمًا، وتعلمًا وتعليمًا، من أجل ذلك كانت هذه الكلمات.

القرآن دستور حياة المؤمنين:

تربى الجيل الأوّل في صدر الإسلام على نهج القرآن، فأصبحوا خير أمّة أخرجت للناس، لم يكن القرآن عندهم محفوظًا في السّطور، بل كان مكنونًا في الصّدور ومحفوظًا في الأخلاق والأعمال، يسير أحدهم في الأرض وهو يحمل أخلاق القرآن وآدابه ومبادئه.

ولا شك أن تعظيم كتاب الله عز وجل من آكد الواجبات، وقد أجمعت الأمة على وجوب تعظيم القرآن على الإطلاق، وتنزيهه وصيانته، ولذا كان من أصول المعرفة والتلقي والاستدلال عند أهل السنة والجماعة: تعظيم القرآن والسنة ونصوص الشرع الواردة فيهما، فهذا هو مقتضى الإسلام الذي هو الاستسلام والتسليم لما جاء فيهما والرجوع إليهما، وهذا يكون في جوانب الحياة كلها.

فلا بد من تعظيم القرآن في النفوس، ولا بد من العناية به؛ لأنه كلام الله، وفضله على سائر الكلام كفضل الله على غيره، كما أن تعظيم القرآن وتعظيم السنة من تعظيم شعائر الله، وهذا من تقوى القلوب.

قال الإمام النووي -رحمه الله تعالى-: «ثبت في صحيح مسلم عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الدِّينُ النَّصِيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله، وَلِكِتَابِه، وَلِرسُولِه، وَلِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ) [مسلم: ٥٥]. قال العلماء: النَّصيحة لكتاب الله تعالى هي: الإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله، لا يشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر الخلق على مثله، وتعظيمه، وتلاوته حق تلاوته، وتحسينها والخشوع عندها، وإقامة حروفه بالتلاوة، والذب عنه لتأويل المحرّفين وتعرّض الملحدين، والتصديق بما فيه، والوقوف مع أحكامه، وتفهم علومه، وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه والدعاء إليه...» [التبيان في آداب حملة القرآن (ص١٥١)].

ولا شك أن القرآن يهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩].

قال علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- في وصف القرآن: «اعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدّث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة في هدى ونقصان من عمى، واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد بعد القرآن من غنى، فاستشفوا به من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم، فإن فيه الشفاء من أكبر الداء، وهو الكفر والنفاق، والغي والضلال، واعلموا أنه شافع ومشفع،

Upload by: altawhedmag.com

وقائل مصدق، وأنه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع فيه، فإنه ينادي مناد يوم القيامة: ألا إن كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله، غير حرث القرآن فكونوا من حرثه وأتباعه، واستدلوه على ربكم، واستنصحوه على أنفسكم، واتهموا عليه آراءكم، واستغشوا فيه أهواءكم». [مقدمة كتاب أحكام القرآن، الكيا الهراس ١/٦].

كم يوقظ القرآن ضمائرنا ولا تستيقظ! وكم يحذرنا ونظل نلهو ونلعب! وكم يبشرنا وكأن المبشر غيرنا! وكم تعيينا الأمراض والعلل، ولو استشفينا بالقرآن لشفانا الله به حسًا ومعنى، وصدق الله: «وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا» [الإسراء:٨٣]. فهو يذهب ما في القلوب من أمراض الشك والنفاق، والشرك والزيغ، وبه يحصل الإيمان والحكمة، وليس هذا إلا لمن آمن بالقرآن وصدقه واتبعه، وهذا شفاء القرآن المعنوي.

وإذا كنا نرى في العصر الحديث أن صحفًا وكُتّابًا كثيرين إذا تحدث رئيس البلاد في خطبة أو مناسبة؛ تراهم يسارعون إلى عرض مقتطفات من أقواله، ونشرها في الإذاعات والصحف وغيرها، مع إتباع الكلام بالتبجيل والثناء الحسن، فإذا كان هذا فعل البشر مع كلام بشر، فلم التهاون مع كلام الله رب العالمين.

الوصية بكتاب الله عز وجل:

وقد بوَّب الإمام البخاري في صحيحه: باب الوصية بكتاب الله عز وجل. ثم ساق الحديث بسنده إلى طَلْحَة بْنِ مُصَرِّف قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- هَلْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصَى؟

فَقَالَ: لَا. فَقُلْتُ: كَيْفَ كُتِبَ عَلَى النَّاسِ الْوَصِيَّةُ أَوْ أُمِرُوا بِالْوَصِيَّةِ؟

قَالَ: أَوْصَى بِكِتَابِ اللَّهِ. [البخاري ٢٧٤٠].

قال الشيخ العلامة ابن عثيمين- رحمه الله تعالى- في شرح «كتاب فضائل القرآن» من صحيح البخاري: «الوصاة بكتاب الله - عز وجل- تشمل وجوها كثيرة: منها: الوصاة بحفظه حتى لا يضيع، والحفظ نوعان: حفظ في الصدور، وحفظ في المسطور، يعني في الكتاب، فعلى المسلمين أن ينفذوا وصية النبي- صلى الله عليه وسلم- بحفظ القرآن في صدورهم ومسطورهم.

ثانيًا: الوصية بتصديق أخباره، فإنّ من كذّب خبرًا من أخبار القرآن، فإنه قد انتقص القرآن؛ لأن الكذب من الأوصاف الذميمة، القبيحة التي يستهجنها حتى الكفار في كفرهم.

ثالثًا: الوصاة بالعمل به، بحيث لا نهجره، فإن هجر العمل بالقرآن هجرٌ للقرآن،«وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا » [الفرقان: ٣٠].

رابعًا: الدفاع عنه، بحيث نرد تحريف المبطلين الذين يفسرون القرآن بآرائهم، وأهوائهم، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار، والعياذ بالله». [انتهى من (شرح كتاب فضائل القرآن) من صحيح البخاري. شريط (٣)].

أول طريق الصلاح:

والقرآن أول طريق الصلاح في النفس والإصلاح في الكون، ولذلك فإن أشراف الأمة هم حفظة القرآن الكريم، ومن حفظ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه، والله أثنى على القراء في قوله تبارك وتعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ » [فاطر:٢٩] فكل تجارة معرضة للربح والخسارة إلا التجارة مع الله لن تبور، قال عز وجل: « لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ » [فاطر:٣٠] قراءةً وحفظا وعملاً وتطبيقًا ودعوةً.

ولا شك أن أول درجات طلب العلم وتعلمه حفظ القرآن الكريم، ولذلك تجد في سير السلف أول ما تجد اعتناءهم بحفظ القرآن، في سن صغير جدًا، فهذا الإمام أبو محمد سفيان بن عيينة، ولد بالكوفة سنة ١٠٧هـ، حفظ القرآن وهو ابن أربع سنين، وكتب الحديث وهو ابن سبع، كان عالمًا جليلا وزاهدًا ورعًا، سكن مكة وبها توفي سنة ١٩٨هـ. وهذا مثال فقط، وكل مجددي العصر الحديث -ومنهم الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ورضي عنه- بدأوا بالقرآن الكريم حفظًا وفهمًا، وتعلمًا وتعليمًا.

الحياة مع القرآن:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من تدبر القرآن طالبًا للهدى منه تبيّن له طريق الحق». (العقيدة الواسطية ٨/١).

إن الحياة مع القرآن لها طعم خاص، وإحساس خاص، لا يدرك حقيقة تلك الحياة القرآنية إلا من أنار الله بصيرته، فوفّقه للتأمل في آياته، والتفكر في كلامه المنزّل على خير خلقه، وصفوة رسله صلى الله عليه وسلم.

هذا شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- وقد بقي- رحمه الله- في سجن القلعة يكتب العلم، ويُصنّفه، ويُرسل إلى أصحابه الرسائل، ثم مُنِعَ من الكتابة والكتب، فلما أخرجت الكتب والأوراق والدواة والقلم من عند شيخ الإسلام في القلعة في تاسع جمادى الآخر سنة ٧٢٨ هـ، تفرغ الشيخ للعبادة، وقراءة القرآن، وتحسر على ما مضى من عمره

Upload by: altawhedmag.com

في غير تدبر القرآن، مع أنه رحمه الله كان يقول: «ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير، ثم أسأل الله الفهم، وأقول: يا معلم آدم وإبراهيم علمني، وكنت أذهب إلى المساجد المهجورة ونحوها، وأمرّغ وجهي في التراب، وأسأل الله تعالى، وأقول: يا معلم إبراهيم فهمني» [العقود الدرية ١/٤٢]، واستمر على هذه الحال يختم القرآن ويتدبر في آياته حتى توفي في ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة من سنة ٧٢٨ هـ.

نقل الإمام ابنُ رجب- رحمه الله- في «ذيل طبقات الحنابلة»: أنّ شيخ الإسلام ابن تيمية صرَّح بندمه في آخر حياته، في آخر أيَّامه في سجن القلعة الذي مات فيه يقول شيخ الإسلام: «وندمتُ على تضييع أوقاتي في غير معاني القرآن». [ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب، (٢/٤٠٢)].

وهذا تلميذه النجيب ابن القيم- رحمه الله- الذي لازمه مدة طويلة جدًا. ووقف معه في المحن التي تعرض لها، وقد حُبس معه بسبب التهم الباطلة التي وُجِّهت إليهما، ولم يخرج ابن القيم إلا بعد وفاة شيخه، يقول رحمه الله واصفًا مدة إقامته بالحبس، وما عليه حال الشيخ من انشراح الصدر وقوة القلب: «وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية- قدس الله روحه- يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة. وقال لي مرة: ما يصنع بي أعدائي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة، وكان يقول في محبسه الأخير في القلعة: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهبًا ما عدل عندي شكري هذه النعمة. أو قال ما جزيتهم عني ما تسببوا لي فيه من الخير، ونحو هذا. وكان يقول في سجوده وهو محبوس: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» ما شاء الله، وقال لي مرة: «المحبوس من حُبس قلبه من ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه».

ولما أدخل إلى سجن القلعة، وصار داخل السور نظر إليه، وقال: « فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ » [الحديد: ١٣].

ويضيف ابن القيم رحمه الله: «وعلم الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدهما، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا وأقواهم قلبًا، وأسرهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحًا وقوة ويقينًا وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها».

قال ابن القيم رحمه الله: وحدثني بعض أقارب شيخ الإسلام رحمه الله قال: كان في بداية أمره يخرج أحيانًا إلى الصحراء يخلو عن الناس لقوة ما يرد عليه، فتبعته يومًا فلما أصحر تنفس الصعداء، ثم جعل يتمثل بقول الشاعر، وهو لمجنون ليلى في قصيدته الطويلة:

وأخرُجُ من بين البيوت لعلني
أُحدِّثُ عنك النفس بالسرِّ خاليًا

انتهى من الوابل الصيب [ص ٩٣ و ٩٤].

فرحم الله شيخ الإسلام، هذا الرجل الأمة المجدد المجاهد البطل، ورفع في الجنة درجاته.

إن تدبر القرآن عبادةٌ جليلة حثنا الله تبارك وتعالى عليها؛ لما تشتمل عليه من حكَم وفوائد تربي المسلم، وتأخذ بيده لالتماس الخَير واقتباس الدروس والعِبَر، وحين تتدبر القرآن الكريم وأنت تتلوه في هدأة الليل وصفاء الكون تأتيك حقائق، وتنكشف لك أسرار تزيدك إيمانًا بأنه كلام المولى- تعالى- منه بدأ وإليه يعود، وتضيء لك أنوار الحق، وتنبثق أفكار الهداية، وأنت تقرأ فيه قصص الأنبياء والأمم السابقة، تكون لك عونًا على الثبات والدعوة.

فالله الله يا أمة الإسلام، ويا إخوة الإيمان!! العودة إلى كتاب الله! نتلوه آناء الليل وآناء والنهار، ونتدبر آياته ومواعظه، ففيه والله الكفاية والغنى، ونقرأ صفة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي وصفته بها أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- وهو الوصف الجامع المانع «كان خلقه القرآن» [أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني]، ونقرأ سير الصحابة الكرام جند الإيمان والتوحيد الذين كانوا بهذا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متأسين ومقتدين، تشبهوا به واقتدوا بسنته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنالوا شرف صحبته.

ولذا كان القرآن نورًا ومصدر النور للمهتدين الباحثين عن الحق والخير والجمال، وكان خير مَعين وموجّه للمصلحين والمجددين على مر التاريخ.

فأين نحن أيها الأحباب من وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأين نحن من تلاوة القرآن وتدبره والتأمل فيه، ولماذا هجرناه؟!

والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

سارع أخي المسلم وأختي المسلمة

بالمشاركة بجزء من مالك ومن الزكوات أو الصدقات لنشر التوحيد من خلال المشاركة في الأعمال التالية:

طباعة كتيب يوزع مع مجلة التوحيد مجاناً تتكلف النسخة خمسة وسبعين قرشاً .. يطبع من كل كتيب مائة وخمسون ألف نسخة.

نشر تراث الجماعة من خلال طبع المجلة وتجليد أعداد السنة في مجلد واحد وذلك لعمل كرتونة كاملة ٣٨ سنة من المجلة.

دعم مشروع المليون نسخة من مجلة التوحيد - نسخة من المجلة لكل خطيب من خطباء الأوقاف والأزهر تصله على عنوانه.

نحن بانتظاركم .. يمكنكم المشاركة ودعم ذلك بعمل حوالة أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي .. فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد.

Upload by: altawhedmag.com

مفاجأة سارة

الآن

موسوعة التوحيد

ببلاش



- بشرى سارة لإدارات الدعوة في فروع أنصار السنة بأنحاء الجمهورية .
- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، أربعون عاماً من مجلة التوحيد .
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد .
- استلم الموسوعة ببلاش بدون مُقدَّم ؛ فقط ادفع ٧٥ جنيهاً بعد الاستلام على عشرة أشهر .
- من يرغب في اقتنائها فعليه التقدم بطلب للحصول عليها من إدارة الدعوة بالفرع التابع له أو من خلال قسم الاشتراكات بمجلة التوحيد بطلب مُزَكًى من الفرع .
- علماً بأن نموذج طلب الشراء والإقرار المرفق به من قبل الفرع موجود على موقع أنصار السنة وصفحة الفيسبوك الخاصة بكل من رئيس التحرير و صفحة مجلة التوحيد .
- هدية لكل من يرغب في اقتناء كرتونة المجلدات عبارة عن فهرس عام للمجلة وفهرس موضوعي يسلم بعد طبعه للفروع والمشتركين .

ومفاجأة أخرى
المجلد الجديد لعام ١٤٣٣ هـ
موجود الآن؛ سارع بالحصول عليه بـ ٢٥ جنيها فقط



☎ 23936517

Upload by: altawhedmag.com